المنهج الدعوي في توجيه الحِرَفِيينَ ودلالاتُهُ

إعداد

د/ خالد السعيد السيد سليمان

مدرِّس بكليّةِ أصول الدين والدعوة بالمنصورة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدُ اللهَ ربَّ العالمين ، وأصلّي وأُسَلِّمُ على خاتَمِ الأنبياءِ وإمامِ المرسلينَ سيدنا ومولانا محمدٍ ﷺ ، وعلى آله وصحبه أجمعينَ ، وبعدُ :

فما أنْ يبزغَ الفجْرُ، ويتنفَّسَ الصبحُ ، إلاَّ وترى الناسَ قد خرجواْ أفواجاً يتكسَّبونَ ويأمُلُوْنَ ، يَغدون خِماصًا ويَروحون بِطانًا، ما من أحد منهم إلاَّ وله حاجة، فيسدُّ الله تعالى خُلَّتهُ، ويَقضي حاجتَهُ بمقتضى عِلمٍ وحِكمة تُحيرُ عقولَ أولي الألباب ﴿ أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (١) .

ومن مظاهرِ هذه الحكمة ، وتجلياتِ تلك العظمة ، سوقُ حاجات الناسِ وأرزاقهم على يد بعضهم ليحصُلَ التآلفُ والتعاضدُ ، وتنويعُ مصادرِها ليتحقق التكامل والتساند،

فمِنهم مَن قُدِّرَ له رزقُه في أعماق البحار، بما فيه من أسرار، ومنهم من جُعِلَ قوتُهُ في مهبِّ الهواء بين الأرضِ والسَّماء ، أو في جوفِ الأرض بين طيَّاتِ الصخور وكوامن الجحور، والعجب فيمن رِزقُه كامنٌ بين فكي الأسود يُروِّضها، أو بين أنيابِ الفِيَلَةِ وخراطيمها يسوسها، وآخرون رُهِنَتْ أرزاقُهُم بأمراضِ الناسِ، ومابهم من شدَّةٍ وباس ، ولو كانت الأمراضُ موجعة والآلامُ مُفجعة بأجسادٍ تضيقُ وهو في سعة كالطبيب ومساعده وبائع الدواء ومُرَكِّبُهُ ، والمُمرِّض ومعاونه ممن تلازمت أرزاقهم مع أوجاعِ النَّاسِ وآلامهم، وسبحان من أودعَ في كلِّ قلبٍ ما أشغله .

من الناس مَن قُوتُهم مُناطٌ بالبرد القارص ليبيعَ مدفأة أو ملحفة، أو بالحرِّ الشديد ليبيعَ ثلجًا أو آلةَ تبريد ، وقومٌ رزقهم مناطٌ بالفَرَح ، وآخرون رِزقهم يُساقُ بالتَّرَحْ ، يحفرون قبرًا لفلان، ويبيعون كفنًا لعِلّان ، ونظائرُهُم مُنَفِّذواْ القِصاص بالخصوص وقاطعواْ يدِ السُّرَّاقِ واللصوص.

١) سورة الملك من الآية رقم ١٤.

والسطورُ التي بين يديك – أيُّها القارئ الكريم – تكشفُ عن وجهٍ من وجوهِ تلك المكاسب، هو وجهُ الاحتراف ومنهج الإسلام في الدعوة إليه بما يَزيد أصحابه اغتباطًا، وبآدابه وأحكامه ارتباطاً.

جَعَلْتُ عنوانها: **"المنهج الدعوي في توجيه الحرفيينَ ودلالاتُه "**

وسوف ينتظم هذا البحث في تمهيدٍ ومبحثين وخاتمة على النحو التالي :

التمهيد : ويتضمن ١ – التعريف بمفردات العنوان

٢ – أهمية البحث

٣ – الحاجة المجتمعية إليه

المبحث الأول: عملُ الأنبياء الحرفيّ ودلالاتُهُ الدعويَّة. وفيه مطلبان

المطلب الأول : ممارسات الأنبياء الحِرَفية بجانبِ مهمتهم الدعوية

المطلب الثاني : الدلالات الدعوية في ممارسات الأنبياء الحِرَفية.

المبحث الثاني : المنهج الدعوي في التوجيه ودلالاتُهُ .

وفيه عشرة مطالب

المطلب الأول : ربط الاحتراف المثمر بمكارم الأخلاق

المطلب الثاني : النهي عن المسالك الضارة في الاحترافِ المفسدة للمجتمع

المطلب الثالث : الاعتناءُ بالحثِّ على الاحترافِ وذكرِ فضله

المطلب الرابع : تشجيع المحترف المحسن .

المطلب الخامس : التحذيرُ من المحترفِ المسيئ والتنفيرُ من مسلكِهِ

المطلب السادس : المتابعة الدقيقة للحرفيينَ وتوجيهُهُم ودلالتُهُ .

المطلب السابع : اختيارِ المناسبِ من الحِرَفِ للأفرادِ ودلالتُهُ.

المطلب الثامن : الإرشادُ إلى تَنوُّعِ الحِرَفِ والصناعات لتحقيق الواجب الكفائي.

المطلب التاسع : حلُّ مشكلاتِ الحرفيين ودلالتُهُ الدعوية.

المطلب العاشر : عدم احتقار صغيرِ الحِرَف أو استصغارِ أهلها.

وهاك البيان :

التمهيد ويتضمَّن نقاطٍ ثلاث:-

١- التعريف بمفردات العنوان .

٢-أهمية البحث.

٣-الحاجة المجتمعية إليه .

النقطة الأولى :التعريف بمفردات العنوان.

أولاً:معنى المنهج

المنهج في اللغة مصدر ميميٌّ للفعل نَهَجَ ينهَجُ نهجاً ومنهَجاً ، أي سلَكَ مسلكاً واضحاً بيَّناً ، جاء في لسان العرب : (طريقٌ نهجٌ : بيّنٌ واضحٌ) [١]

وفي المعجم الوسيط : المنهاج معناه : الطريقُ الواضحُ والخطَّةُ المرسومة ، ومنه منهاجُ الدراسة ومنهاج التعليم ونحوها ، وجمعه مناهج [٢]

وقد أبانت كتب اللغة في أصلِ مادة الكلمة عن ثلاثة معانٍ :

الأوَّلُ : أنَّ المنهج بالفتح هو الطريق الواضح البيِّن .

الثاني : أنَّ نَهَجَ تعني : سَلَكَ ، يقال : فلانٌ يستنهجُ فلاناً أي يسلُكُ مسلكَهُ [٣]

الثالث : أنَّ النَّهَجَ يعني : تتابع النَّفَسِ ، ومنه : مشى حتى نَهَجَ [٤] فمردُّ هذه المعاني إلى سلوكِ طريقٍ معينٍ والتّتابع عليه بوضوحٍ وبيانٍ

---

١) لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ٧٢٧/٣ ، طبعة دار لسان العرب ، بيروت – لبنان .

٢) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ٩٩٥/٢ ، طبعة مجمع اللغة العربية، الطبعة الثالثة .

٣) مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ص٦٨١ ، طبعة وزارة المعارف ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، الطبعة السابعة سنة ١٩٥٣م.

٤) أساس البلاغة ، جار الله الزمخشري ، ٤٨٤/٢ ، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر سنة ٢٠٠٣م.

مادة نَهجَ في القرآن الكريم :

لم ترد هذه المادة في القرآن الكريم إلّا في آيةٍ واحدةٍ [١] وهي قول الله تعالى :

﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [٢] والمنهاج فيها : هو الطريق الواضح السهل ، والسنن الطرائق [٣]

المنهج في الاصطلاح : يتنوَّعُ تعريفُ المنهجِ اصطلاحاً تنوُّعاً يتناسبُ مع مسلكِ أهلِ كلِّ فنٍّ .

فمنهج المفسرين : هو الطريقة الواضحة التي تتابعَ عليها المفسِّرونَ واعتمدوها في شرح آيات القرآن الكريم ، وتوضيح ما تنطوي عليه من معانٍ وأسرارٍ وأحكام .

ومنهج المحدثين : هو الطريقة الواضحة التي تتابع عليها المحدِّثونَ واعتمدوها في إيراد الحديث بسنده ومتنه ، ومعرفة رجاله والحكم عليهم جرحاً وتعديلاً ، ومعرفة المتن والحكم عليه .

---

١) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ص ٨١٢ ، طبعة دار الحديث بالقاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦مـ .

٢) سورة المائدة الآية رقم ٤٨.

٣) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير ٢/٦٧–٦٨ ، طبعة المكتبة التوفيقية سنة ١٤١١هـ – ١٩٩١مـ.

ومنهج التربويين : هو مجموع الخبرات التربوية التي يكتسبها المتعلم تحت توجيه المدرسة بقصد النموّ الشامل وتعديل السلوك طبقاً للأهداف التربوية [١] .

ومنهج الفلاسفة : القوانين والقواعد التي تمكِّنُ الفيلسوفَ من معرفة الحقِّ [٢] .

والمنهج في اصطلاحِ الدعاة : هو

١- الطريقة الواضحة التي تتابع عليها الدعاةُ واعتمدوها في تبليغ دعوتهم ونشر رسالتهم .

٢- نظم الدعوة ، والخطط المرسومةُ لها [٣].

٣- الطرق المستخرجة من نصوص الوحيين للوصول إلى غايةٍ معيَّنةٍ .

وهذا هو الذي يتَّسقُ مع طبيعة الدراسة في هذا البحث .

ثانياً : معنى التوجيه

ومادة التوجيه تعني الأخذ بالوجه والوجهة نحو المراد ، ومعنى وجّهه : أي حوّل وجهه نحو ما يريد حتى صار اتجاهه في مكان واحد، يقال : (وجّهَ فلان فلانا فتوجه ، أي انقاد واتّبع واستجاب) [٤].

وعلى هذا فالمراد بالتوجيه في البحث هو : الدلالة والإرشاد إلى ما فيه خيرُ ذوي الحِرَفِ المباحة إلى طريق السعادة في الدنيا والآخرة .

---

١) المنهج وعناصره د/ ابراهيم بسيوني ص ٤٤ ، طبعة دار المعارف ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٩١م.

٢) مقدمات في المناهج ، عبد السلام ياسين ص ٢٣ ، طبعة دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٥م.

٣) المدخل إلى علم الدعوة ، محمد أبو الفتح البيانوني ص ١٩٥ ، طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م .

٤) المعجم الوسيط ، إبراهيم مصطفى . أحمد الزيات . حامد عبد القادر . محمد النجار طبعة دار الدعوة تحقيق / مجمع اللغة العربية ١/١٠١٥- ١٠١٦

ثالثاً : معنى الدعوة وإضافة التوجيه إليها

الدعوة والدُّعاءُ: الطلب والرَّغْبَةُ إلى الله تعالى [١] .

ويُرادُ بها : نداء الناس وحثهم على الاستجابة لشيء سواء أكان ذلك الشيء حقاً أم باطلاً ، وهي :

(برنامج كامل يضم في أطوائه جميع المعارف التي يحتاج إليها الناس ليبصرواْ الغاية من محياهم ، وليستكشفواْ معالم الطريق التي تجمعهم راشدين)[٢] .

وإضافة الدعوة إلى التوجيه إضافة تخصيص، إذ المقصود بذلك : توجيه الدعوة الإسلامية هذه الفئة البشرية إلى الطرق الصحيحة السوية لكسب الأقوات اليومية ، وهو فرع عن التوجيه العام الذي نيط بتلك الرسالة ، إذ هي الرسالة الإلهية التي تضم بين جنباتها سبل الاستقامة ومناهج الهداية لعموم الناس في مختلف الأقطار وعلى مدار الزمان والأعصار ، وقد اصطفينا هنا توجيه الدعوة لفئة معينة من الناس هي فئة الحرفيين وأهل الصنائع ، وما صحب ذلك من دروس تهذبت بها نفوس ، وهو ما يجرنا إلى تعريف الحِرَفِيّ فيما يلي :

رابعاً : تعريف الحِرَفِيّ

الحِرَفيُّ نسبة إلى الحرفة وهي تعني :

(الصناعة التي منها يَرْتزق المرء ، لأنه مُنْحرِف إليها ....وكل ما اشتغل به الإنسان ودراه من أيّ أمرٍ كان : فإن العرب تسميه صنعة وحِرْفة ،

---

١) القاموس المحيط ، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي ١/١٦٥٥.

٢) مع الله – دراسات في الدعوة والدعاة ، محمد الغزالي ص١٣، طبعة نهضة مصر ، الطبعة الثامنة ٢٠٠٧م .

يقولون: صنعة فلان أن يفعل كذا ، وحِرْفة فلان أن يفعل كذا يريدون دَأْبَه ودَيْدَنَه)[١].

فالحرفة تعني في بعض جوانبها من ناحية المعرفة والإتقان : (الصناعة ، والمحترف : الصانع، يقال: هو يحرف لعياله، أي يكسب من هاهنا وهاهنا)[٢]

والحِرَفِيُّ نسبة إلى الحرفة ، أي المشتغلُ بها ، فهو الذي يمتهنُ مهنةً من المِهَنِ المباحة المتعارفِ عليها في مجتمعٍ من المجتمعات .

النقطة الثانية : أهميَّةُ البحث

أولى الإسلام العملَ عناية فائقة، وحفّز الناس إليه، وأثنى على الماهرين به ، وندب إلى اختيار المتقنين له ، وحذّر القادرين عليه أن يركنوا إلى الكسل والبطالة.

وقد جاءت النصوص بهذا تترى ، منها

١- ما جاء بالأمر المباشر كقوله سبحانه : ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٣]

والأمر في الآية الكريمة (ظاهرُه ترخيصٌ وتخييرٌ وباطنُه ترغيبٌ وترهيبٌ) [٤]

---

١) الفائق في غريب الحديث ، محمود بن عمر الزمخشري ٢٧٥/١ طبعة دار المعرفة – لبنان ، الطبعة الثانية.

٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ١٣٤٣/٤ طبعة دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.

٣) سورة التوبة من الآية ١٠٥.

٤) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود محمد بن مصطفى ١٠٠/٤ طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت

وقوله سبحانه : ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١)

والمشي هنا يراد به مطلق الحركة أي:(فَسَافِرُوا حَيْثُ شِئْتُمْ مِنْ أَقْطَارِهَا، وَتَرَدَّدُوا فِي أَقَالِيمِهَا وَأَرْجَائِهَا فِي أَنْوَاعِ الْمَكَاسِبِ وَالتِّجَارَاتِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ سَعْيَكُمْ لَا يُجْدِي عَلَيْكُمْ شَيْئًا، إِلَّا أَنْ يُيَسِّرَهُ اللَّهُ لَكُمْ؛ وَلِهَذَا قَالَ: ﴿وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ فَالسَّعْيُ فِي السَّبَبِ لَا يُنَافِي التَّوَكُّلَ)(٢) .

وحضه ﷺ علي العمل – ولو كان ضئيلاً في عيون الناس– فعن أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ (٣).

٢– ومنها ما جاء ضمناً بذكر النماذج المُشَرِّفة من هؤلاء العمال ، وبيان حُسنِ ما صنعواْ في الدنيا وجميل ما ينتظرهم في الآخرة ، ومن ثَمَّ كانَ الحديثُ عن الحِرَفِ وتوجيه الدعوة لأصحابها موضوعاً في غاية الأهمية ، وتنبعث تلك الأهمية من عدة وجوه :

أولها:

أنها تمكننا من التعرف على وجهٍ آخر غيرِ مشتهرٍ من وجوه حضارة الإسلام وما لازمها من حِرَفٍ وصناعاتٍ ما يمكن اعتباره من أسباب النهضة المادية والرقيّ الحضاري والاستقلالِ الإداري والاكتفاء الذاتي لهذه العصور، وتحقيقِه رُغم قلة الموارد وندرة الثروات الطبيعية بما يُحتِّم على كل عاقلٍ التّأمُّل والتّدبُّر.

---

١) سورة الملك الآية رقم ١٥.

٢) تفسير القرآن العظيم ،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ١٧٩/٨ ، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م

٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، بَاب الِاسْتِعْفَافِ عَنْ الْمَسْأَلَةِ ٥ /٣١٩ (١٣٧٧)

ثانيها:

إبراز معنى الموازنة في الإسلام ، وتحقيق الاعتدال بين الواجبات الدينية والحاجيات الدنيوية ، ومعلومٌ أنَّ المجتمع المسلم الأول – الذي قاد الدنيا وساد العالم – لم يكن بمعزلٍ عن التمتع بمقومات الحياة ، ولم يَدَعْ سبيلاً لاستغلال أسباب المعاش الحلال إلا سلكه ، وأن لزوم سبيل الاستقامة

لا يناهض تحصيل أسباب الدنيا ، وأن الحضارة الدنيوية والاستقامة الدينية تسيران – عند أولي العقول السليمة – جنباً إلي جنبٍ دون طغيان أو اعتداء.

ثالثها:

بيان فضل الحرف والمكاسب من الناحية الشرعية، والحث عليها ، والتأكيد على كونها من طرق المعاش الفاضلة ، وتوجيه نية العمل فيها ، والتقليل من العزوف عنها، وتصحيح النظرة الدونية التي يراها بعض الناس فيها .

رابعها:

الاطلاع على الأساليب والتطبيقات الدعوية الصحيحة للتعامل مع هذه الفئة، وما ينبغي أن تحظى به من العناية والرعاية في توجيه طاقاتها نحو العمل النافع لها ولمجتمعها .

خامسها:

إظهار شموليةِ الإسلام ، وعموميةِ الدعوة واستقصائِها كبير الأمر وصغيره ، واحتواءِ تعاليمها كل فئات المجتمع ، واعتبارِها كلَ فرد من أفراده ذا بالٍ ، وكلَ حرفة شريفة ذات قيمة .

سادسها:

دراسة بعض الطرق الشرعية لتأسيس اقتصاد الأمة، والتحول من الاقتصاد البدائي العشوائي إلى الاقتصاد الحرفي المنظم والمستقر، واعتبار النموذج الأمثل للانطلاق إلى مستقبل العمل والإنتاج ، والتمثّل به.

سابعها:

التنبيه على ضوابط العمل الحرفي في الإسلام .

ثامنها:

بيان أنَّ التحرف بالصناعات لا يغض من مناصب أهل الفضائل ، بل هو زيادة في فضيلة أهل الفضل يحصل لهم بذلك التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم وكسب الحلال.

النقطة الثالثة : الحاجةُ المجتمعيَّةُ إليه.

لقد نظّم الإسلامُ حياةَ الناس بما يحقق مهمة الاستخلاف ، ومن ذلك تنظيم احتياجاتهم لكسب الأموال وتوفير متطلباتهم الحياتية الخاصة بهم .

وقد بدت الحاجة إلى ذلك التنظيم والتوجيه الدعوي ماسَّةٌ لعدّةِ أمورٍ منها :

١- تَوَفُّرُ الأمية الدينية عند قطاعٍ كبيرٍ من هذه الفئة ، سيّما مع انشغالهم بالتّكسُّب وانخراطهم في تناول أسباب المعاش ، وبعدهم عن مصادر التوجيه والإرشاد، ما أدى إلى انطباع صورةٍ ذهنيّةٍ عامّةٍ مُشوَّهةٍ لدى جُلُّ المتعاملين معهم وتكوين خلفيّةٍ سيئة عنهم ، وظهور دور الداعية في إزالة أسباب ذلك .

٢- حساسيةُ العملِ في الأموال عموماً ، والحرصِ على التنافس في تحصيلها بطرق مشروعةٍ وغيرِ مشروعةٍ، وعاقبةِ التفريط في ذلك .

٣- تعلّق قطاعاتٍ كبيرة من المجتمع بالحرفيين وأهل الصناعات ، فلا يكاد يخلو بيتٌ من وجود حِرَفِيٍّ – على الجملة – أو متعاملٍ مع حِرَفِيٍّ ، أو محتاج لصناعتهم ، ما يجعل السلوك الناتج عن التعامل معهم سلوكاً عامّاً ينتشر أثره في أوساطَ مختلفة

والملاحَظُ أنَّ هناك من يتعامل مع بعض الحرفيين بحذر لاعتقاده الغدر في عمومهم ، ومن يسعى للمساومة في أجرة بعضهم لمعتقده الجازم في مغالاة جُلِّهم ، ومن يختلق الأعذار ويُفشي الأسرار لمعرفته خُلفَ مواعيد بعضهم ، إلى غير ذلك من ردود الأفعال الصالحة وغير الصالحة والتي تخلُقُ جواً عامّاً سلبياً ينبغي أن تتنزه عنه البيئات المستقيمة .

٤- عدم تَوَفُّرِ الهيئات والمؤسسات الدعوية المختصّة بهذا التوجيه ، فضلاً عن مباشرتها لذلك ، وتمكنها من الأمر والنهي ، وإعطائها من الصلاحيات ما به تتمكن من صبغ هذا القطاع بالصبغة الإسلامية الصالحة والمُصلِحة .

٥- انصرافُ ذلك التوجيه إلى شريحةٍ كبيرةٍ في المجتمع لا يُنكَرُ وجودُها ممن لهم تأثيرٌ قويٌّ في البناء والتعمير

٦- الحاجة إلى توجيهِ الدعاة أنفسهم إلى شمولية التوجيه وعمومية الإرشاد ، وفتحُ آفاقٍ جديدةٍ أمامهم للبحث والتنقيب والكشف عن بعض أسباب تأخُّر المجتمع واستقصاءُ جميعِ فئاتهِ بالنصح والتوجيه مع عدمِ التقليل من تأثيرها في بيآتها.

٧- إرشاد أهل العلوم التجريبية والنظرية والعملية إلى أهمية المزج بين الدين والدنيا ، فليست الدنيا بمعزلٍ عن الدين ، وليس الدينُ مُزَهِّداً في الدنيا ولا صارفاً عن مباشرةِ أسبابها .

٨- التركيز على وجود التآلف في التربية المهنية الإسلامية بين الإنسان ومهنته وعدم الانفصام بينهما ، مما يحقق التكامل والانسجام .

٩- السعي الحثيث نحو تحقيق الارتفاع في مستوى الإنتاج الكمّي وتوفيرِ أسبابه بالطرق المشروعة ، وبيانِ أنَّ الالتزام بالأخلاقِ الحسنة من البواعثِ على تحقيقِ ذلك للأفرادِ والمجتمعات ، وأنَّ السلوكَ الاقتصاديَّ المخالف للشريعة لا يتركُ إلا الدمارَ والخرابَ ولو بدا للنّاسِ خلافُهُ .

١٠- معالجة ضعف الوازع الديني لدى بعض فئات الحرفيين والصُّنَّاع ، وظهور الحِيَلْ والخديعات في بعض معاملاتهم ، واشتهار ذلك في بعض أسواقنا مما أفقد بعض الناس الوثوقَ فيها واستئمانَ أهلها

١١- تطهيرُ باطن الإنسان وكيانه الداخلي ،سيّما من تكثرُ ملامستهم لأموالِ النفسِ والغيرِ ، والمُضِّـيُ قُدُماً نحو تحصينهم ضد الانزلاقِ في المهاوي ، وترقيةُ نفوسهم بالمراقبة المستمرة وربطها بالإيمان بالله واليوم الآخر ،سيّما مع وجود المغريات وكثرة الفتن والشهوات .

١٢- بابٌ من أبواب تحقيق استقلالية الذات المسلمة ، وإثباتُ علو مقامها وتَفَرُّدِها التشريعي وعدمِ تبعيتها للأنظمة الغربية أو السياسات الأجنبية، وإظهار قدرتِها على إصلاحِ شئونها الداخلية ، وقيادة الأنظمة الخارجية .

١٣- سبيل لتحقيق العدالة والموازنة بين حاجات الفرد والمجتمع ، ومصلحة الذات والغير لإثبات صلاحية الشرع للموازنة ، وانتفاء التصادم في مقرراته.

١٤- بيان بعض مزايا الاقتصاد الإسلامي ، وقيامه على [١] الملكية المزدوجة المتألِّفةِ من ملكية الأفراد الخاصة وملكية المجتمعات العامة.

والاقتصاد الإسلامي يقوم على كلتيهما في آن واحد ، ويحقق التوازن بينهما، بل يقدم مصلحة الجماعة على الفرد عند وجود التعارضِ بينهما،

١٥- المساهمة في إنشاء منطلقات التنمية الاقتصادية في البلاد الإسلامية كالاعتماد على الذات مثلاً، حيث يحرص الإسلام في توجيهاته على غرس الشعور بالمسؤولية الفردية في كل صعيد ، فالمسلم مسؤول عن توظيف طاقاته ، وحفظ جوارحه ، ورعاية عياله ومحاولة حل مشكلاته ..

ويلقي في روع المسلم أن عليه قبل أن يطلب مساعدة الآخرين أن يستنفد طاقته في نفع نفسه، وعليه قبل أن يحاسب الآخرين أن يحاسب نفسه وقبل أن يقرأ تاريخ الأمم الأخرى أن يقرأ تاريخ أمته ، وقد رأينا من تعاليم النبي ﷺ الاقتصادية والسلوكية فيما يتعلق بالحِرَفِ وتوجيه أهلها ما يؤكد وفور مقومات استقلالية الشخصية المسلمة وعدم تبعيتها.

١) انظر للاستزادة : القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي د. علي أحمد السالوس ص ٣٠ ، طبعة دار الثقافة – قطر، دار ابن كثير– مصر ، الطبعة الثانية عشرة ١٤٣١هـ– ٢٠١٠م . .

المبحث الأوَّل

عمل الأنبياء الحِرَفيّ ودلالاتُهُ الدعوية

وفيه مطلبان

المطلب الأول : ممارساتُ الأنبياءِ الحِرَفيةِ بجانبِ مهمتهم الدعوية .

المطلب الثاني : الدلالات الدعوية في ممارسات الأنبياء الحِرَفيَّة.

وذلك على النحو الآتي :

المطلب الأول

ممارساتُ الأنبياءِ الحِرَفيةِ بجانبِ مهمتهم الدعوية

الحرف والصنائع أعمالٌ كريمة تولاها من قبلُ أئمةٌ كرام وسادةٌ أعلام ، ولمَّا كانت من أشرف المِهَنِ فقد علّمها الله –سبحانه وتعالى– بعضَ رسله وأنبيائه– الذين أرسلهم هداة للناس وقدوة لهم في حياتهم– رُغم تحملهم أعظم مهمّة وهي الدعوة والتبليغ ، إلا أنهم كانواْ يحترفون ويتكسَّبون، وهو ما يوجب النظرَ في سيرتهم المعيشية لنُحيي سنة، ونحرز حسنة، وننفع أنفسنا، ونرضِي ربنا، ونساهم في تقوية أمتنا، وقد ذكر القرآن الكريم مباشرتهم لبعضها فيما يلي:

١) نوحٌ وزكريَّا عليهما السلام ومباشرتهما النجارة :

أمر الله تعالي نوحاً عليه السلام أن يصنع السفينة للنجاة من الطوفان الذي سيُغرق الكافرين، فاستجاب لأمره ، وصنعها من الخشب يُقطّعه ألواحاً بمقادير مناسبة، والنجارة تحتاج إلي تناسب المقادير، وتناسب المقادير لابد فيه من عملٍ دقيقٍ حِرَفي ، وقد قال سبحانه : ﴿ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴾ [١] .

---

١) سورة القمر الآية رقم ١٣.

فذِكْرُ الآلةِ الحاملةِ وصناعتِها والموادِ المُركَّبَةِ منها (إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهَا كَانَتْ مِنْ أَلْوَاحٍ مُرَكَّبَةٍ موثقة بدثر، وَكَانَ انْفِكَاكُهَا فِي غَايَةِ السُّهُولَةِ، وَلَمْ يَقَعْ بفضل الله، والدُّسُرُ : المسامير) [١].

ولا شك أن تركيباً كهذا لألواحٍ خشبية مع مسامير حديدية لصناعة سفينة بحرية ذاتِ أحمالٍ يحتاج إلى دقة وحِرَفية بالغة ، ولهذا طمأنه ربه أن عينه ترعاه وتعينه وتوجّهه، فقال سبحانه : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ [٢]

فصناعتك إنما هي (بِحِفْظِنَا وَكَلَئِنَا ، كَأَنَّ مَعَهُ مِنَ اللَّه حَافِظًا يَكْلَؤُهُ بِعَيْنِهِ لِئَلَّا يَتَعَرَّضَ لَهُ وَلَا يُفْسِدَ عَلَيْهِ مُفْسِدٌ عَمَلَهُ، لِأَنَّ ثُبُوتَ الْأَعْيُنِ يَمْنَعُ مِنْ ذَلِكَ. ، وقِيلَ إِنَّهُ كَانَ نَجَّارًا وَكَانَ عَالِمًا بِكَيْفِيَّةِ اتِّخَاذِهَا، وَقِيلَ إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَّمَهُ عَمَلَ السَّفِينَةِ وَوَصَفَ لَهُ كَيْفِيَّةَ اتِّخَاذِهَا، وَهَذَا هُوَ الْأَقْرَبُ لِقَوْلِهِ: بِأَعْيُنِنا وَوَحْيِنا) [٣]

وفي الآية الكريمة – والله أعلم – إشارة وبشارة لأصحابِ المهنِ عامّةً ، أما الإشارة فإلى السبب الأكبر والعامل الأهم خلف إتقان نوحٍ عليه السلام لصنعته وهو حماية عين الله تعالى له ، وتوجيه الوحي إياه ، وتصحيح الإلهام خطاه ، وأما البشارة فلكل من سلك السبيل من العمال فأخلص ووفّى ، وقصد بصنعته وجه الله أن عين الله معه .

---

١) مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله الرازي ٢٩٧/٢٩ طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٢) سورة المؤمنون الآية ٢٧ .

٣) مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد الرازي ٢٧٢/٢٣.

وأما زكريَّا عليه السلام فقد أخبرَ نبينا ﷺ أنّه كانَ نجَّاراً أيضاً ، فعن أبي رافع عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال : " كان زكريا نجارا " [١] .

وفي الحديث الشريف (جَوَازُ الصَّنَائِعِ وَأَنَّ النِّجَارَةَ لَا تُسْقِطُ الْمُرُوءَةَ وَأَنَّهَا صَنْعَةٌ فَاضِلَةٌ وَفِيهِ فَضِيلَةٌ لِزَكَرِيَّاءَ ﷺ فَإِنَّهُ كَانَ صَانِعًا يَأْكُلُ مِنْ كَسْبِهِ) [٢] .

وفيه أيضاً دليلٌ (على شرف النجارة وعلى أن التحرف بالصناعات لا يغض من مناصب أهل الفضائل ، بل إن الحرف والصناعات غير الوضيعة زيادة في فضيلة أهل الفضل يحصل لهم بذلك التواضع في أنفسهم والاستغناء عن غيرهم وكسب الحلال) [٣]

٢) إبراهيم الخليل عليه السلام ومباشرتُه البناءَ :

أمر الله– تعالي – إبراهيمَ الخليلَ عليه السلام ببناء الكعبةِ الشريفةِ بيتِ الله الحرام، فاستجاب واتَّخذَ المُعينَ لذلك وسار مع ولده إسماعيل إلي مكان الكعبة، فأعدّ المعول والأداة ، وشرع مع ولدهِ في البناء.

ولما وُضع الأساس، وارتفع البناء، وقصُرَ طولُ إبراهيمَ عليه السلام عن تناول جاء بحَجَرٍ ووقفَ عليه ، حتى يستطيعَ إتمامَ عمله ، وكانا يدعوان الله عز وجل أن يتقبل منهما عملهما الخالص له وحده، كما قال سبحانه :

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، باب : من فضائل زكريا عليه السلام ١٨٤٧/٤ (٢٣٧٩)

٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا يحيى بن شرف النووي ١٥ / ١٣٥ ، طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٢هـ .

٣) الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، محمد الأمين الأُرَمي العَلَوي ٢٣/ ٣١٨ ، طبعة : دار المنهاج – دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ – ٢٠٠٩ م .

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١)

فقد : (ذَكَّرَ الله تعالى العرب بِأَنَّ إِبْرَاهِيمَ هُوَ الَّذِي بَنَى هَذَا الْبَيْتَ بِمُسَاعَدَةِ ابْنِهِ إِسْمَاعِيلَ، وَذَكَرَ لَهُمْ مِنْ دُعَائِهِمَا هُنَالِكَ مَا يُرْشِدُهُمْ إِلَى الْعِبَادَةِ الصَّحِيحَةِ وَالدِّينِ الْحَقِّ، وَيَجْذِبُهُمْ إِلَى الِاقْتِدَاءِ بِذَلِكَ السَّلَفِ الصَّالِحِ الَّذِي يَنْتَمُونَ إِلَيْهِ وَيُفَاخِرُونَ بِهِ، فَإِنَّ قُرَيْشًا كَانَتْ تَنْتَسِبُ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ بِحَقٍّ وَتَدَّعِي أَنَّهَا عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَكَانَتْ تَرَى أَنَّهَا أَهْدَى مِنَ الْفُرْسِ وَالرُّومِ، وَسَائِرُ الْعَرَبِ تَبَعٌ لِقُرَيْشٍ بسبب ذلك ، ..... وهو ظَاهِرٌ فِي أَنَّهُمَا بَنَيَا هَذَا الْبَيْتَ لِعِبَادَةِ اللهِ – تَعَالَى – فِي تِلْكَ الْبِلَادِ الْوَثَنِيَّةِ) (٢)

والمتأمل في صناعة نوحٍ عليه السلام للسفينة ، وكذا بناء إبراهيم وولده للبيت يلحظ الربط العقدي بين المصنوع والغرض الذي صُنعت لأجله ، فالبيت للعبادة ، والسفينة لنجاة من سلك طريق العبادة ، وهو – والله أعلم – ربطٌ معقولٌ ومقبول .

٣) نبي الله داوود عليه السلام ومباشرتُهُ الصناعة:

حكي الله – تعالى – ما أعطاه نبيه داوود عليه السلام فقال : ﴿وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ﴾ (٣) ، وقال سبحانه عنه أيضاً : ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ﴾ (٤)

---

١) سورة البقرة الآية ١٢٧.

٢) تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا ١/ ٣٨٣ ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠ م.

٣) سورة البقرة من الآية ٢٥١.

٤) سورة الأنبياء الآية رقم ٨٠.

فقد علّم الله – تعالى – داوود عليه السلام صناعة الدروع الحديدية لتوقِّي السيوف والسهام والحراب في الحرب وغيره ، و(المراد باللبوس في الآية الكريمة : الدُّرُوعُ لِأَنَّهَا تُلْبَسُ ..... وَهُوَ بِمَعْنَى الْمَلْبُوسِ كَالْجُلُوسِ وَالرُّكُوبِ، وأَوَّلُ مَنْ صَنَعَ الدُّرُوعَ وحِلَقَها داوود عليه السلام، وكانت مِنْ قَبْلُ صَفَائِحَ .... وَهو يَجْمَعُ الْخِفَّةَ وَالْحَصَانَةَ من بأس العدو وسلاحه ، لهذا قال سبحانه : ﴿ لِتُحْصِنَكُمْ﴾أي : لِتُحْرِزَكُمْ وَتَمْنَعَكُمْ من حَرْبِ عَدُوِّكُمْ، ومِنْ وَقْعِ السِّلَاحِ فِيكُمْ) [١]

فأيّ فضلٍ هذا الذي نصّتْ عليه الآية الكريمة مِنْ تَوَلّي الحق سبحانه تعليمَ هذا لنبيه ﷺ بنفسه ؟

وزيادة في إحكام الصنعة له وتطويعِها لأمره اختص الله ﷻ داوود عليه السلام بالقدرة علي تشكيل الحديد في صورٍ مختلفة دون الحاجة إلي نار ومطرقة، قال سبحانه : ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ ﴾ [٢] ، وقد نصّت الآية الكريمة على صفة المصنوع وأثنت على دقّته ، وذكرت سبب هذه الدقة وهي ليونة الحديد وذوبانه بين يديه ، كما لخّصت الضابط العامّ في دقة أهل الصنائع وهو حسن التقدير ، والمعنى : أَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ لِيَعْمَلَ دروعاً سَابِغَاتٍ ، وَأمرناه أن يَقْدِرَ الصنعةَ قدرها فلا(يُغَلِّظِ الْمَسَامِيرَ فَيَتَّسِعَ الثُّقْبُ وَلَا يُوَسِّعِ الثُّقْبَ فَتُقْلَقَ الْمَسَامِيرُ فِيهَا) [٣] .

---

١) معالم التنزيل في تفسير القرآن ، المُسمى : تفسير البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ٣٠١/٣ ، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ

٢) سورة سبأ ١٠، ١١.

٣) مفاتيح الغيب ، الرازي ١٩٦/٢٥ .

وفي الآية الكريمة ربطٌ رائع بين صالح العمل الدنيوي الذي تتحقق به مكاسب المعاش ، وصالح العمل الأخروي الذي يتحقق به الاستعداد للمعاد ، وذلك في قوله سبحانه :﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (١)

ففيه (إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَأْمُورٍ بِهِ أَمْرَ إِيجَابٍ إِنَّمَا هُوَ اكْتِسَابٌ ، وَالْكَسْبُ يَكُونُ بِقَدْرِ الْحَاجَةِ وَبَاقِي الْأَيَّامِ وَاللَّيَالِي لِلْعِبَادَةِ ، فَقَدِّرْ فِي ذَلِكَ الْعَمَلَ وَلَا تَشْغَلْ جَمِيعَ أَوْقَاتِكَ بِالْكَسْبِ بَلْ حَصِّلْ بِهِ الْقُوتَ فَحَسْبُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاعْمَلُوا صالِحاً﴾ أي لستم مخلوقين إلا للعمل)(٢) .

وقد جاء في الحديث الشريف ضَرْبُ المثل – لأطيب ما أكل المرء من طعامٍ ، وأن أطيب ذلك ما كان من صنع يده– بما كان من داوود عليه السلام ، فعَنِ المِقْدَامِ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللَّهِ دَاوُدَ عليه السلام كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ» (٣)

وللنفي والتنكير في الحديث الشريف معنى التعميم فجعله خيرَ الأطعمة من حيث المصدرية ، ثم نفى الحرج عن كل عاملٍ وأرشده أن لا يمتنع عن مباشرة الأعمال بيده مهما كانت درجته فإن داوود عليه السلام لم يمنعه ملكه عن ذلك ، وفيه أيضاً :

---

١) سورة سبأ من الآية رقم ١١ .

٢)ا مفاتيح الغيب ، الرازي ١٩٦/٢٥.

٣) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، المسمى صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، كتاب البيوع ، بَابُ كَسْبِ الرَّجُلِ وَعَمَلِهِ بِيَدِهِ ، ٥٧/٣(٢٠٧٢)، طبعة دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

(فَضْلُ الْعَمَلِ بِالْيَدِ وَتَقْدِيمُ مَا يُبَاشِرُهُ الشَّخْصُ بِنَفْسِهِ عَلَى مَا يُبَاشِرُهُ بِغَيْرِهِ ، وَالْحِكْمَةُ فِي تَخْصِيصِ دَاوُدَ عليه السلام بِالذِّكْرِ أَنَّ اقْتِصَارَهُ فِي أَكْلِهِ عَلَى مَا يَعْمَلُهُ بِيَدِهِ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْحَاجَةِ لِأَنَّهُ كَانَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ، وَإِنَّمَا ابْتَغَى الْأَكْلَ مِنْ طَرِيقِ الْأَفْضَلِ ، وَلِهَذَا أَوْرَدَ النَّبِيُّ ﷺ قِصَّتَهُ فِي مَقَامِ الِاحْتِجَاجِ بِهَا عَلَى مَا قَدَّمَهُ مِنْ أَنَّ خَيْرَ الْكَسْبِ عَمَلُ الْيَدِ) [١] ولا أدلّ على إبراز هذا المعنى وتحقيقه من ضرب المثل له بتحصيله على يد نبيّ له من الشرف الديني والاستغناء الدنيوي ما به اشتُهر ، ومع ذلك كان يباشر العمل بيده ويتناوله بيمينه.

فانظر كيف ضرب المثل في الحث على هذا بنبي مُلِّك من أسباب الدنيا ومُكِّن له مالم يُمَكَّن لغيره ، لقد أُعطي من أسباب الاستغناء ،ومقومات الحياة ما لو أُعطي أحدنا مقدارَ ذرَّةٍ منه ركن إليه واستعبد الناس فيه ، وسيَّر بين يديه من العبيد والإماء من يهرولون في خدمته ،كيف لا وقد تناول داوود عليه السلام صناعة ما يُطلَقُ عليه في عصرِنا الحاضرِ صناعةَ الأسلحةِ الحربيَّةِ ، ومع هذا كان يحثّ الخُطى نحو الكدّ ، ويعمل بيده ليقوت نفسه ، فعملُ غيرِه ممن هو أقلَّ شأناً وأشدَّ حاجةٍ أولى .

٤) نبي الله إدريس وأيُّوبُ عليهما السلام ومباشرتهما الخياطة.

فقد ورد أن أول من خاط الثياب ولبسها هو نبي الله إدريس عليه السلام [٢] ، وكانت الثياب قبل ذلك من الجلود، وذلك من مقومات علو مقامه

١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٣٠٦/٤١ ، طبعة دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.

٢) ربما لبسها من قبلُ آدمُ عليه السلام لكنها كانت له غرزاً وكانت لإدريسَ خياطةً .

وارتفاع مكانته التي نصّ عليها قوله سبحانه ﴿ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾[١] على ما ذكره بعض المفسرين عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : (أَنَّ إِدْرِيسَ كَانَ خَيَّاطًا، فَكَانَ لَا يَغْرِزُ إِبْرَةً إِلَّا قَالَ: "سُبْحَانَ اللَّهِ"، فَكَانَ يُمْسِي حِينَ يُمْسِي ، وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ أَحَدٌ أَفْضَلَ عَمَلًا مِنْهُ) [٢]

وقد ذكرَ البغويُّ في شرحِ السنن أنَّ (أَيُّوب عليه السلام كَانَ خياطًا، و زكرِيّا كَانَ نجارًا، وقدْ قصّ الله سُبْحانهُ وَتَعَالَى من نبإِ مُوسى، وكونِه أَجِيراً مَا قصّ)[٣]

٧) موسى عليه السلام ومباشرتُهُ أكثرَ من حرفةٍ :

فقد حكي القرآن الكريم أن موسى عليه السلام عمِلَ أجيراً حينَ سقى لامرأتين تزودان ، وسأل الله تعالى أن يرزقه الخير جرّاء صنيعه ، فلمَّا أراد أن ينكح إحداهن جُعِلَ مهرُها أن يستأجر نفسه لأبيها حتى يرى أنه قد أدّى ووفّى ﴿ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [٤]

ولما ذهب لمناجاة ربِّ العالمينَ افتخر برعيه وأمسك عصاه التي يهش بها على غنمه ﴿ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى﴾ [٥]

---

١) سورة مريم الآية ٥٧.

٢) تفسير القرآن العظيم ،أبو الفداء إسماعيل بن كثير ٢٤١/٥، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ – ١٩٩٩ م

٣) شرح السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ٣٣٤/١١ ، طبعة المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م

٤) سورة القصص الآيتان ٢٦، ٢٧.

٥) سورة طه من الآية ١٨.

٨) خاتم المرسلين محمد ﷺ ومباشرتُهُ الرعي والتجارةَ :

أمَّا نبينا ﷺ فقد كان يعمل منذُ صباهُ راعيًا للغنم، حيث رعي الغنم في بني سعد مع إخوته من الرضاعة ثم رعاها في مكة [١]

وقد اشتركَ عليه السلام في ذلك مع سائرِ إخوانه من الأنبياءِ ، فكان يذكر ذلك بعده في غِبطةٍ وسرورٍ كما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ : مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ) [٢]

(وفي هذا الحديث إباحة التحدث عن الماضين من الأنبياء والأمم لسيرهم وأخبارهم ، وفيه أن التحرّف في المعيشة ليس في شيء منها– إذا لم تنه عنه الشريعة – نقيصة وفيه أن أحوال الأنبياء والمرسلين في تواضعهم غير أحوال الملوك والجبارين وكذلك أحوال الصالحين) [٣]

وستأتي دلالاتُ هذا الحديثِ الجامعِ للأنبياءِ في هذه المهنة في المطلبِ الثاني إن شاء الله تعالى

<u>مباشرةُ النبي ﷺ التجارة</u> :

كما كانتِ التجارة من الحِرَف الشريفة التي تَشيع بين أهل مكة، وكان لقريشٍ رحلتان تجاريتان: إحداهما في الصيف إلى الشام، والأخرى في الشتاء إلى اليمن، وكان أبو طالب يخرُج للتجارة كما يخرُج غيرُه من أشرافِ قريش.

---

١) يراجع في ذلك: البداية والنهاية ، ابن كثير ٢٨٦/٦ طبعة مكتبة المعارف – بيروت ، السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام ٣٠٣/١ ، طبعة دار الجيل – بيروت – ١٤١١هـ .

٢) صحيح البخاري، كِتَاب السَّلَمِ ، بَاب رَعْيِ الْغَنَمِ عَلَى قَرَارِيطَ ٨٨/٣ (٢٢٦٢) .

٣) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي ٣٤٤/٢٤ ، طبعة مؤسسة القرطبة .

ويُروى أنَّ نبينا ﷺ حين بلَغ التاسعةَ من عُمره تعلَّق بعمّه أبي طالب ليصحبَه في سفره ، وفي هذه الرّحلة بدأ محمَّد – ﷺ – يدرك قيمةَ التِّجارة، ويَعرِف ألوانًا مختلِفة مِن معاملاتِ الناس وأخلاقِهم، ممَّا وجَّهه فيما بعدُ إلى الاشتغال بهذه المِهنة.

أضِفْ إلى ذلك أنَّ السيدةَ خديجةَ – رضي الله عنها – كانتْ تُنمّي مالَها بالتجارة، وتَعْهَد به – نظيرَ أجْرٍ – إلى مَن تثِق فيهم مِن أهل مكة،(وَكَانَتْ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ امْرَأَةً تَاجِرَةً ذَاتَ شَرَفٍ وَمَالٍ تَسْتَأْجِرُ الرِّجَالَ فِي مَالِهَا وَتُضَارِبُهُمْ إيَّاهُ، بِشَيْءٍ تَجْعَلُهُ لَهُمْ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ قَوْمًا تُجَّارًا، فَلَمَّا بَلَغَهَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا بَلَغَهَا، مِنْ صَدْقِ حَدِيثِهِ، وَعِظَمِ أَمَانَتِهِ، وَكَرَمِ أَخْلَاقِهِ، بَعَثَتْ إلَيْهِ فَعَرَضَتْ عَلَيْهِ أَنْ يَخْرُجَ فِي مَالٍ لَهَا إلَى الشَّامِ تَاجِرًا، وَتُعْطِيهِ أَفْضَلَ مَا كَانَتْ تُعْطِي غَيْرَهُ مِنْ التُّجَّارِ، مَعَ غُلَامٍ لَهَا يُقَالُ لَهُ مَيْسَرَةَ، فَقَبِلَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا، وَخَرَجَ فِي مَالِهَا ذَلِكَ، وَخَرَجَ مَعَهُ غُلَامُهَا مَيْسَرَةُ حَتَّى قَدِمَ الشَّامَ) [1] فباع واشترى، وقايض، وربِح لخديجة ربحًا وفيرًا في فترة قصيرة ، وجلَب لها مِن البضائع كلَّ ما تحب، وكل ذلك في لِين وأمانة، وحُسْن معاملة .

كما أثّر اشتغاله ﷺ – بالرعي غلاماً والتجارة شاباً – في نفسه تأثيراً إيجابياً فكان من شأنه في بيته أنه كان ﷺ بجانبِ ممارستِه الدعوة يُنَظّفُ بيته ويخصفُ نعله [2] ويخيط ثيابه ، وما رُؤِيَ فارغاً في بيته ، بل كان

---

١) السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام ١/ ١٨٨ ، طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ،الطبعة: الثانية ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م .

٢) وأصل الخصف ترقيع النَّعْل أَو نسجها وردّ بعضها على بعض ، ومنه قول الله تعالى ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾ ، انظر: التيسير بشرح الجامع الصغير ،زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي ١/٨٥ ، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م ، والآية من سورة الأعراف من الآية ٢٢.

دائما في حاجة أهله. فعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَعْمَلُ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: يَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَعْمَلُ مَا يَعْمَلُ الرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ (١)

ولنا في رسول الله ﷺ قدوة حسنة ، حيث امتهن الرعي في صباه حتى إذا اشتد عوده عمل بالتجارة في مال السيدة خديجة .... وقد علّمنا أنّ العمل الشريف يعلى من شأن صاحبه عند الله وعند عقلاء الناس.

ولا عجب أن نرى بعد ذلك في أئمة الإسلام وأكابر علمائه مَنْ ملأوْا طباق الأرض علماً، وما زالت الأجيال تنهل من تراثهم، وما خلَّفوه من ثروة علمية هائلة ممّن اشتُهروا بالحِرَف والصناعات التي يتعيشون منها، كالبزَّار، والقفَّال، والزجَّاج، والخرَّاز، والجصَّاص، والخوَّاص، والخيَّاط، والصبَّان (٢) .

١) الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل البخاري بَابُ مَا يَعْمَلُ الرَّجُلُ فِي بَيْتِهِ ١/١٩٠(٥٣٩) طبعة دار البشائر الإسلامية – بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩

٢) ذكر ابن طولون في كتابه " الأحاديث المائة المشتملة على مائة نسبة إلى الصنائع " أكثر من مائة نسبة للصنائع بين رواة الأحاديث وكبار العلماء الذين اشتُهروا بذلك ومنهم : الأبّار ، والآجري ، والإسكاف ، والأكفاني ، والبذُوري ، والبقسماطي ، والبقّال ، والتاجر ، والتّراس ، والتمّار ، والثقّاب ، والجزّار ، والجلودي ، والجمّال ، والجوهري ، والجوخي ، والحبري ، والحريري ، والحجّار ، والحدّاد ، والحطّاب ، والحفّار ، والحكّاك ، والحلواني ، والحمامي ، والخبّاز ، والخرّاز ، والخيّاش، والخيّام ، والخفّاف ، والخُلعي ، والخيوطي ، والدّهان ، والدّجاج ، والدّقاق ، والدّلال، والدليل ، والذهبي ..... "انظر كتاب الأحاديث المائة المشتملة على مائة نسبة غلى الصانع ، وضع ابن طولون ، تحقيق مسعد عبد الحميد السعدني ، طبعة دار الطلائع بالقاهرة .

المطلب الثاني

الدلالاتُ الدعويَّةُ في ممارساتِ الأنبياءِ الحِرَفيَّةِ

لقد أخبر الله تعالى عن رسله وأنبيائه جُملةً بأنهم كانوا يتخذون أسباب المعاش ويطلبون الرزق بالعمل والسعي كالصناعة والتجارة والمشي في الأسواق ، قال سبحانه ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ﴾ (١)

فمن اقتدي بهداهم وسار علي طريقهم ، وتناول أسباب العيش مثلهم عاش غنياً كريماً في نفسه ،إذ ليس هناك من هو أفضل منهم ومع هذا كانوا يأكلون من عمل أيديهم وصناعتهم ، وفي عمل الأنبياء ومَنْ تابعهم من أهل الحق دلالاتٌ دعوية عديدة أسرد بعضها فيما يلي :

أولاً: تقديمهم – الأسوة والقدوة العملية من نفوسهم

قال الحافظ ابن القيم: (إن النبي – ﷺ – :باع واشترى، وشراؤه أكثر، وآجر واستأجر، وإيجاره أكثر، وضارب وشارك وتوكل، وتوكيله أكثر، وأهدى وأُهدِيَ إليه، ووهب واستوهب ، واستدان واستعار، وضمن عامَّاً وخاصَّاً ، ووقف وشفع، فقبل تارة ورد أخرى، ولم يعتب ولم يغضب، وحلف واستحلف، ومضى في يمينه وكفّر أخرى.

ومازح وروى ولم يقل إلا حقاً، وهو – ﷺ – الأسوة والقدوة) (٢)

ثانياً: إبراز درجة الحكم الشرعي لطلب التَّكسُّب عملياً : إذ لو كان في تركه مُنَّسعاً لكان تركُهُ لدى الأنبياءِ أولى ،وبيان أنه من الفرائض.

---

١) سورة الفرقان من الآية ٢٠ .

٢) زاد المعاد في هدي خير العباد ، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية ١/ ١٦٠– ١٦٣ بتصرف ، طبعة : مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ، الطبعة : السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م .

ثالثاً: تشريع تحويل العادات إلى عباداتٍ بحسن توجيه النيّات ، فمن المعلوم أنَّ أعمال الأنبياء – حتى ولو كانت فيما يخصُّ الدنيا– قد اشتملت على ابتغاء وجه الله تعالى بها والتَّقَوِّي بها على الدعوة ، وفي هذا تشريعُ إمكانيَّةِ تحويل العادات إلى عباداتٍ إذا أُحسِنتْ فيها النيَّات .

رابعاً : الإشارة إلى قيمة المرء الحقيقية : وأنّها لا تكمُلُ إلاّ إذا تكامل المنح مع العمل ، فلا يركنّ أحدكم إلى الفيوضات التى جاءته ويترك البذل والعمل فإنه تواكلٌ لا توكّل ، ولو كان ذلك مشروعاً لأتته أنبياءُ اللهِ ورسله .

خامساً :عدم نقصان العمل الحِرَفِيّ من قدرِ صاحبه : وذلك على خلاف ما يعتقده بعض الناس فالحرفةُ المباحةُ لا تُنقِصُ قدرَ صاحِبِها ولا تُقَلّلُ من شخصيته ، فهاهم أنبياء الله ورسله وهم أعلى مراقي الكمالات الإنسانية كانواْ يتناولون الصناعات بأيديهم

سادساً : عدم اعتبار الدعوة طريقاً للتّكسُّبِ والمعاش :ولفتُ نظرِهم إلى أن ينزّهواْ أنفسهم عن مسألة الخلق فهو أفضلُ لهم وأكرم وأنجح لدعوتهم وأقوم .

سابعاً : الاشتغال بالدعوة ليسَ مدعاةً للكسل والتواني : أو سبباً للتقصير في حق النفس أو الأهل والولد ، بل الموازنة بين الأمرين واجب ، وأداء الحقين معاً صائب ، وقد رأينا سيد الدعاة ﷺ ينكح من أمهات المؤمنين العدد الذي لم يتوفّر لغيره من أمته ، ومع هذا لم يتهاون في القيامِ بأمرِ الدعوة ، ولم يقصّر في حق الأهل – رغم كثرة عدد البيوت التي تعلقت حقوقها به ﷺ .

ثامناً : دلالاتُ اشتراكِ الأنبياء عليهم السلامُ في رعي الغنم

ومن ممارسة الأنبياءِ لمهنة الرعي كما قال نبينا ﷺ " فيما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ :" مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا رَعَى الْغَنَمَ ، فَقَالَ أَصْحَابُهُ وَأَنْتَ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ كُنْتُ أَرْعَاهَا عَلَى قَرَارِيطَ لِأَهْلِ مَكَّةَ" [١] مما سبق بيانه في المطلب السابق ، فقد بانت لنا دلالاتٌ كثيرةٌ متنوعةٌ يمكنُ إجمالُها فيما يلي :

أفادَ نبيُّنا ﷺ وكذا سائرُ الأنبياءِ من مباشرةِ رعي الغنم في حياتهم الدعوية والدنيوية إجمالاً : صحَّةَ البَدن، ومَتانة الخَلْق، وتعلُّم الصَّبْر، وقوَّة الاحتمال ، والرأفة والعطْف على الضعيف، وحُسْن السياسة ، وردّ الشارد إلي الجماعة ، وانتقاء مواطن الصلاح، والنظر فيما حولَه بعَيْن التأمُّل والتدبُّر، هذا فضلاً عمّا يتيحه الرعي لصاحبه من خصالٍ تربوية عديدة ، منها :[٢]

١- **الصبر وطولُ النَّفَسِ في الدعوة** : وذلك نظراً لكون الراعي يرعى من طلوع الشمس إلى غروبها في شدَّة الحرّ ، وظمأ الريق وخشونة الطعام، وشظف العيش ، فيحمل نفسه على تحمل ذلك والصبر عليه.

والنبوة تحتاج إلى التخلق بالخلق الكريم، والاتصاف بالحلم والصبر، وذلك أمر يحققه رعي الغنم؛ لأن القطيع يرعى وهو مطلق السراح، فيتوزع

---

١) صحيح البخاري، كِتَاب السَّلَمِ ، بَاب رَعْيِ الْغَنَمِ عَلَى قَرَارِيطَ ٨٨/٣ (٢٢٦٢) .

٢) انظر في ذلك : فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، محمد سعيد رمضان البوطي ص٤٩-٥٠ ، طبعة دار السلام ، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م ، السيرة النبوية عرض دقائق وتحليل أحداث ، د/ علي محمد الصلّابي ٥٠/١ ، طبعة دار المنار ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥م .

هنا وهناك ، وكلما يجمعه الراعي يعود من حيث أتى، وذلك أمر يحتاج إلى الصبر والتحمل، وبدون ذلك لا يمكن للراعي رعي الغنم.

فمِنْ رعْيِ الغنمِ إذن تعلَّم الأنبياءُ الصبرَ والتحمّل في دعوة الناس؛ لأن المدعوين ليسوا على اتجاه واحد، وإنما لكلٍ اتجاهه ومذهبه، والنبي ﷺ مسئول عن تبليغ الدعوة للناس على الوجه الصحيح؛ ولذلك وجب أن يكون صابراً حليماً.

٢- **التواضع ووجودُ مقتضياتهِ:** فمن طبيعة عمل الرعي خدمة الغنم والإشراف على ولادتها، والقيام بحراستها والنوم قربها، وربما أصابه من رذاذ بولها وقذر روثها ما يقتل الكبر والتيه في قلب كل عاقل .

٣- **الشجاعة واستعمال القوّة أحياناً في صدِّ عدوانِ المعتدي :** وحاجة الراعي لهذه المعاني شديدة ، سيما في الاغتراب لجلبِ الكلأ، ومقاومة وساوس النفس ، ومنع الاصطدام بالوحوش المفترسة،وحماية غنمه من الذئاب الضارية .

٤- **التَّمرُّنُ والتَّمَرُّسُ وممارسة أسبابِ الرحمة والعطف:** فقيام الرعاة بمقتضيات الرعاية يُحتِّم عليهم تمريضَها والعطفَ عليها ، والقيامَ على شئونها،ف(يحصلُ لهم التَّمَرُّنُ برعيها على القيام بأمر أمتهم ، وفي مخالطتها ما يُحصِّل لهم الحلم والشفقة ،لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها في المرعى ونقلها من مسرح إلى مسرح ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة ألفوا من ذلك الصبر على الأمة وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها فجبروا كسرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلفوا القيام بذلك من أول وهلة لما يحصل لهم من التدريج على ذلك برعي الغنم ، وخُصَّت الغنم بذلك لكونها

أضعف من غيرها ، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر ..... ، وفي ذكر النبي ﷺ لذلك بعد أن علم كونه أكرم الخلق على الله ما كان عليه من عظيم التواضع لربه والتصريح بمنته عليه وعلى إخوانه من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر الأنبياء) [١]

ومَنْ رَزَقَهُ الله تعالى الرحمة بالحيوان كان أشد رحمة بالإنسان.

٥- **الاجتهاد في أداء المهمات بغية الوصول للمراد المشروع :** فلقد ربىّ الله – تعالى – نبيه محمداً – ﷺ – ومِنْ خلفه الأمة – على الكسب من جَنْيِ اليد وعرق الجبين ، ورعي الغنم نوع من ذلك ، وهو درس عملي لصاحب كل دعوة بما يحتّم عليه الاستغناء عن ما في أيدي الناس حتى تبقى له قيمته وتعز يده.

هذا فضلاً عما في رعاية الأغنام من عدم التذلل للبشر أو قصدهم في كسب الأقوات والعمل تحت أيديهم وهو ما يُكسِب الرعاةَ – ممن سلمت فطرتهم وذكت عقولهم – الحرية التامة ، والقدرة على قول الحق والصدع به، وكم رأينا من أناس ، وقد ضعفت نفوسهم وخارت قواهم وخرست ألسنتهم أمام أرباب أعمالهم مما جعلهم يطأطئون رؤوسهم للطغاة، ويسكتون على باطلهم، ويجاورونهم في أهوائهم خوفاً على أقواتهم .

(إن صاحب أية دعوة لن تقوم لدعوته قائمة ما كان كسبه من عطايا مدعوّيه وصدقاتهم) [٢] ، وهو أحرى بالاعتماد على جهده وعرقه حتى لا تكون عليه لأحد من الناس منة ، فيعوقه ذلك أن يجأر بالحق غير مبالٍ أرضى الناس أم سخطواْ.

---

١) فتح الباري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ٤٤١/٤ .

٢) السيرة النبوية عرض دقائق وتحليل أحداث ، د/ علي الصلابي ٥٠/١

وإقباله – ﷺ – على ذلك الرعي يشير إلى دلائل مهمة في شخصيته المباركة ، منها: (الذوق الرفيع ، والإحساس الدقيق اللذَيْنِ جَمّلَ الله تعالى بهما نبيه ﷺ

لقد كان عمّه يحوطه بالعناية التامة ، وكان له الأبَ الحاني على ولده ، ولكنه – ﷺ – ما إن آنس في نفسه القدرة على الكسب حتى أقبل يكتسب، ويتعب نفسه لمساعدة عمه في الإنفاق ، وهذا يدل على شهامة في الطبع، وبرّ في المعاملة، وبذل للوسع .

والدلالة الثانية تتعلق ببيان نوع الحياة التي يرتضيها الله تعالى لعباده الصالحين في دار الدنيا، لقد كان سهلاً على الله – تعالى– أن يهيئ لنبيه ﷺ – وهو في صدر حياته – من أسباب الرفاهية ووسائل العيش ما يغنيه عن الكدح ورعاية الأغنام ، ولكن الحكمة الربانية تعلمنا أن خير مال الإنسان ما اكتسبه بكدّ يمينه وخدمة مجتمعه وبني جنسه، وشر المال ما أصابه الإنسان وهو مستلقٍ على ظهره دون تعبٍ في سبيله)[١] .

٦– شمول جوانب الرعاية:

فراعي الغنم يحتاج إلى سعة الأفق وهو يدبر أمر غنمه نظراً لتعدد جوانب الرعاية التي تحتاج إليها، ففيها الصغير المحتاج للرضاعة، وفيها الذكر، وفيها الأنثى، كما أنها تحتاج دائما إلى البحث عن مصادر أكلها وغذائها، ولا بد لها من حراسة تحميها من الذئاب واللصوص، ومن الضروري المحافظة عليها من شدة الحر، وقسوة البرد، وكثيرا ما تنتابها الآلام والأوجاع، وعلى الراعي متابعة ذلك

١) فقه السيرة النبوية د/ محمد سعيد رمضان البوطي ص ٥٠ .

والحكمة من ذلك أن يتمرن الإنسان على رعاية الخلق وتوجيههم إلى ما فيه الصلاح، لأن الراعي للغنم تارة يوجهها إلى وادٍ مُزهرٍ مُخضَرٍ، وتارة إلى واد خلاف ذلك، وتارة يبقيها واقفة، فالنبي ﷺ سيرعى الأمة ويوجهها إلى الخير عن علم وهدى وبصيرة كالراعي الذي عنده علم بالمراعي الحسنة، وعنده نصح وتوجيه للغنم إلى ما فيه خيرها، وما فيه غذاؤها وسقاؤها ومن مسئوليات الراعي تدبير أمر مبيتها في الخلاء، أو في البناء.

إنها (مسئوليات عديدة، لا يصلح لها ضيق الأفق، العاجز عن حمايتها، وإعداد كافة الجوانب التي تحتاج إليها.

ولذلك كان رعي الغنم تدريبا عملياً على مباشرة أعمال النبوة لتعدد المسئوليات النبوية، فعلى النبي أن يعلَم حدود ما كُلِّف به، ويُحسنُ فهمَ من يدعوهم، ولغة من يخاطبهم، حتى إذا سُئِل أجاب، وإن عُورِضَ ردّ، وإن واجه عدواً قاومه بالحسنى.. كل ذلك في قوالبَ عديدة وصور كثيرة.

ومن هنا كان اختيار الغنم يرعاها الأنبياء ليتعلموا قيادة أشتات من الناس، ومخاطبة العديد من العقول، والتفاهم مع كافة لغات ولهجات المدعوين، الذين يصيخون للحق، ويؤمنون به..)[1]

٧- التعود على المسئولية:

إن ثقل التكليف يحتاج إلى طاقات بشرية تتحمله، والنبوة تكليف شاق؛ لأنها تعني إخراج الناس من الظلمات إلى النور، وإنقاذ البشر من ضلالات الهوى ليسعدوا بنور الإيمان وبرد اليقين، والنبوة قمة الأمانة

١) السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي ،أحمد أحمد غلوش ٢٢٠/١ ، مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م

والمسئولية، وحاجتها إلى رسول يتحمل مشاقها ومصاعبها ضرورة لا بد منها.

وكذا رعي الغنم عمل شاق، يكفي في تصور مشقته أن الراعي يعيش واقفا ومتحركا طوال الوقت؛ حيث تسرح الغنم وتمرح، وهذه أعمال في حد ذاتها تحتاج إلى قوة وطاقة؛ ولذلك كان رعي الغنم مقدمة للنبوة لما فيهما معا من مشقة وتعب..

وهذه المعاني – والله تعالى أعلم– بعض أسرار اشتراك الأنبياء في رعي الغنم وقيادة الأمم ، بما يُعتبرُ (توطئة وتقدمةً في تعريفهم سياسة العباد ، واعتبارهم بأحوال رعاة الغنم ، وما يجب على رعاتها من اختيار الكلأ لها ، وإيرادها أفضل مواردها ، واختيار المسرح والمراح لها ، وجبر كسيرها ، والرفق بضعيفها ، ومعرفة أعيانها وحسن تعهدها ، فإذا وقف على هذه الأمور كانت مثالاً لرعاية العباد ، وهذه حكمة بالغة)[١]

(وأما رعي الغنم فكأنه تمهيد لمداراة الناس فلذلك قُدِّر للأنبياء ، أو كأنه يشير بهذا إلى أن الأنبياء لم يكونوا ملوكا، وإنما كانت النبوة عند المتواضعين من أصحاب الحِرَف)[٢]

١) شرح صحيح البخاري ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي٦/٣٨٦ ، طبعة مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م ، الطبعة : الثانية

٢) كشف المشكل من حديث الصحيحين ، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ١/٦٨٦ ، طبعة دار الوطن – الرياض – ١٤١٨هـ – ١٩٩٧م

المبحث الثاني

المنهج الدعوي في التوجيه ودلالاته

إنَّ المتأملَّ في توجيه الحِرَفِيينَ في الإسلامِ يلحظُ عدّة مناهج بعضُها يأتي صريحاً والآخرُ ضمناً ، أوردُها هنا مع دلالاتها الدعوية في عدّةِ مطالب تأتي على النحو التالي :

المطلب الأول : ربط الاحتراف المثمر بمكارم الأخلاق.

المطلب الثاني : النهي عن المسالك الضارة في الاحترافِ المفسدة للمجتمع.

المطلب الثالث : الاعتناءُ بالحثِّ على الاحترافِ وذكرِ فضله.

المطلب الرابع : تشجيع المحترف المحسن .

المطلب الخامس : التحذيرُ من المحترفِ المسيئ والتنفيرُ من مسلكِهِ .

المطلب السادس : المتابعة الدقيقة للحرفيينَ وتوجيهُهُم ودلالتُهُ .

المطلب السابع : اختيارِ المناسبِ من الحِرَفِ للأفرادِ ودلالتُهُ.

المطلب الثامن : الإرشادُ إلى تّنوُّعِ الحِرَفِ والصناعات لتحقيق الواجب الكفائي.

المطلب التاسع : حلُّ مشكلاتِ الحرفيين ودلالتُهُ الدعوية.

المطلب العاشر : عدم احتقار صغيرِ الحِرَف أو استصغارِ أهلها .

وهذه كلمةٌ موجزةٌ عن كلِّ مطلبٍ منها .

المطلب الأوّل

ربط الاحتراف المثمر بمكارم الأخلاق .

فقد قيّد الإسلام عملَ الحرفيينَ بجملة من الضوابط والآداب التي تضفي على الصنعة بُعدًا أخلاقيًّا بما (لا يجوز لعاقلٍ معه أن يهدِرَ هذه المعاني أو يتخطاها في أي جانبٍ من جوانبِ نشاطاته لأنّ المجتمعَ المسلمَ يقومُ على المعاني الأخلاقية كالمحبة والتعاون وسدِّ حاجات النفس والغيرِ) [١] ومن ذلك :

١ – الحضّ على إتقانِ الصنعة

فقد حضّ الإسلامُ على ضرورة اتقانِ الصنعة ومراقبة الله تعالى فيها وأن يبذلَ فيها الصانعُ ما يستطيعُه من طاقةٍ لتحصيلِ الإجادة والبلوغِ إلى درجة الإتقان ، مع عدمِ ربطِ ذلك الإتقان بما يتقاضاهُ من أُجرةٍ فإنْ أُعطِي أجادَ ، وإن لم يُعطَ لمْ يُجِدْ ، فعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحِبُّ إِذَا عَمِلَ أَحَدُكُمْ عَمَلًا أَنْ يُتْقِنَهُ [٢] أي يُحكِمه.

---

١) أصول الدعوة د/ عبد الكريم زيدان ص ٢٤٤ ، طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثامنة ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨مـ .

٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط ١/ ٢٧٥ (٨٩٧) وقال : لَمْ يَرْوِ هَذَا الْحَدِيثَ عَنْ هِشَامٍ إِلَّا مُصْعَبٌ، تَفَرَّدَ بِهِ: بِشْرٌ، وأبو يعلى الموصلي ٤٣٩/٧ (٤٣٨٦) انظر : مسند أبي يعلى ، أبو يعلى أحمد بن علي الموصلي ، طبعة : دار المأمون للتراث – دمشق ، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤ – ١٩٨٤ ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ٤/ ٩٨ (٦٤٦٠) بَابُ نُصْحِ الْأَجِيرِ وَإِتْقَانِ الْعَمَلِ وقال : رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى، وَفِيهِ مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ وَثَّقَهُ ابْنُ حِبَّانَ، وَضَعَّفَهُ جَمَاعَةٌ، انظر مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، أبو الحسن نور الدين الهيثمي ، طبعة : مكتبة القدسي، القاهرة سنة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م

٢ – الصدق والبيان

كما حثَّ على الصدق في عرض السلعة ونهى عن المخادعة والمواراة ، وربط بين بركة البيع وصدق البائع ، كما ربط بين كذبه ومحقِ بركة بيعه ، ففي الحديث عن حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتَفَرَّقَا أَوْ قَالَ حَتَّى يَتَفَرَّقَا فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا وَإِنْ كَتَمَا وَكَذَبَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا " [١] وفيه (ذكر النبي ﷺ شيئا من أسباب البركة والنماء، وشيئاً من أسباب الخسارة والهلاك.

فأسباب البركة والربح والنماء، هي الصدق في المعاملة، وتبيين ما في المعقود عليه من عيب أو نقص ، وأما أسباب المحق والخسارة فهي كَتم العيوب، والكذب في المعاملة، والتدليس.

وهى أسبابٌ مؤديةٌ لتحصيلِ بركة الدنيا بزيادة الرزق والشهرةِ بينَ الخلقِ ، وبركة الآخرة بالأجر والثواب، أو مؤديةٌ لمحق كسب الحياة بفقده ثقةَ الناس وإقبالَهم، والخسارة في الآخرة أيضاً لغشِّه لهم) [٢]

وهذا الربط الاقتصادي بالالتزام الأخلاقي واضحٌ في عموم الأمرِ بالسعي واقتران سببه بابتغاء فضل الله ، قال سبحانه : ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب البيوع ، بَاب إِذَا بَيَّنَ الْبَيِّعَانِ وَلَمْ يَكْتُمَا وَنَصَحَا ٢٤٦/٧ (١٩٣٦)،ومسلم في كتاب البيع ، باب الصدق في البيع والبيان ١١٦٤/٣(١٥٣٢)

٢) تيسير العلّام شرح عمدة الأحكام ، عبد الله بن صالح البسَّام ١/ ٤٢٦، طبعة دار الميمان بالسعودية ، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ – ٢٠٠٥مـ .

تُفْلِحُونَ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾ (١)

ومن ثمَّ فإنْ كان دافع الحرفيينَ في العالم هو –على الأغلب– ماديٌّ ، فلدينا نحن المسلمين دافعٌ أقوى وأجلُّ وهو: الدافع الديني؛ إذ مِن نعمة الله علينا أن جعل سعي المؤمن وعمله ونشاطه مدخورًا له عند ربه، يُؤجرُ عليه في الآخرة إذا ابتغى بذلك نفع نفسه وعياله ومجتمعه.

الدلالة الدعوية في ذلك :

وفي ربط الاحترافِ المثمرِ بمكارمِ الأخلاقِ وبيان أثر الأعمالِ الصالحة في تحقيقِ النتائجِ الطَّيبة إرشادٌ للدعاة إلى وجوبِ استخراجِ النتائجِ الصالحةِ عقبَ الأعمالِ الصالحةِ والتذكيرِ بها وإعلانها على الملأ ، واعتبارها طريقاً للاستزادة وطلبِ المددِ من الصالحاتِ ، ف(أكبرُ مظاهرِ الطبيعة التنفيذيّة لدى الدعاة ... نهوضُ الداعيةِ إلى العمل مرتبطاً فيه بقانونِ الأجرِ والثمر ، وهو قانونٌ لا يتخلّفُ في الدنيا ولا في الآخرة ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾)(٢)

ومن النماذج التطبيقية في ذلك :

ما يصنعه بعضُ الدعاة الناجحين في مجالهم عقب انتهائهم من أعمالَ مرضية ، وتحصيلِ نتائجَ طيبة في مراكزهم الدعوية ومعاهدهم التعليمية ومساجدهم الدينية كإعلانهم انهاءَ بعضِ الطلاب حفظ أجزاءٍ من القرآن ، أو قراءة أجزاءَ من الحديث والسيرة ، أو علاجَ المركزِ لعددٍ من حالات المرض أو مساعدته لكثير من فقراء الحيّ ، واعتبارِ ذلك تشجيعاً

---

١) سورة الجمعة الآيتان ١٠–١١ .

٢) تذكرة الدعاة ، البهي الخولي ص ٢٧٤ ، طبعة مكتبة دار التراث ، الطبعة الثامنة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧م ، والآيتان رقم ٧–٨ من سورة الزلزلة .

للغير وأخذاً بيد الجماعة ، وحثّاً على المُضِّي قُدُماً نحو الخير ، ومطالبةً ببذلِ المزيدِ من الجُهدِ.

وهو صنيعٌ طيّبٌ يؤصِّلُ لفكرةِ ارتباطِ النتائجِ الطيبة بالأعمالِ الصالحة وتشجيعِ الناسِ على الاقتداءِ بها ، وقد أعلنَ النبيُّ ﷺ بالطريقةِ العمليةِ والقوليةِ ربطَ النتيجةِ الطيبةِ بالعملِ الطَّيّبِ فيما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ:

جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي مَجْهُودٌ ، فَأَرْسَلَ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ ، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ فَقَالَ مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ فَقَالَ أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ قَالَتْ لَا إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي قَالَ فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا فَأَطْفِئْ السِّرَاجَ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ فَإِذَا أَهْوَى لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ قَالَ فَقَعَدُوا وَأَكَلَ الضَّيْفُ فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ قَدْ عَجِبَ اللَّهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ[1]

لقد طلب رسولُ الله ﷺ ضيافة ضيفه على الملأ ، فأبى إلا أن يُعلن على الملأ أيضاً أنَّ : " مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ " فانظر كيف ربط النتيجة الطيبة بالعملِ الطيب ؟ ثم أعلنَ هذه النتيجة الطبيعية بعد ذلك أيضاً على الملأ ليقتدي الناسُ بذلك ويتعرَّفواْ على ثمرته وليتأسواْ به فيما يأتون ويذرون.

١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الأشربة ، بَاب إِكْرَامِ الضَّيْفِ وَفَضْلِ إِيثَارِهِ ، ٣٧٩/١٠ (٣٨٢٩)

المطلب الثاني

النهي عن المسالك الضارة في الاحترافِ المفسدة للمجتمع

جاءت الشرائع السماوية لرفع الحرج عن الناس ، ودفع الضرر عنهم ، وحفظ النظام ، وتعمير الدنيا بكل ما يوصل إلى الخير والكمال الإنساني ، فإذا ما اعتور البشرية ضرر ونزلت جائحة حرصت على جلب المنافع ودفع المضارّ عنها

ومنطَلَقُ هذا المنهج : الأمر بتجنب الإضرار بالنفس والغير فيما ورد عن رسول الله ﷺ قال :" لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ، مَنْ ضَارَّ ضَارَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ شَاقَّ شَاقَّ اللَّهُ عَلَيْهِ" (١). فهذا الحديث يُشَكِّلُ قاعدة شرعية اقتصادية يندرج تحتها كل سلوك اقتصادي أو صيغة مستحدثة تؤدي إلى الإضرار بالمجتمع ،وبالتالي فالعلماء المجتهدون في كل زمان أولى بتقدير الأدوات والأساليب ، أو الأنشطة أوالمشروعات التي تُلحق الضرر بالمجتمع ، وحتى لو اشتملت على بعض النفع ،فدرءِ المفاسد أولى من جلب المنافع ، ومن أمثلة هذه المسالكِ الضّارة :

أخذ الأموال بغير حق

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " لَا تَحَاسَدُوا وَلَا تَنَاجَشُوا وَلَا تَبَاغَضُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنْ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ

(١) ذكره الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين وقال الذهبي: حديث صحيح الإسناد على شرط مسلم ولم يخرجاه ٦٦/٢(٢٣٤٥) ، طبعة : دار الكتب العلمية ،بيروت ،الطبعة الأولى ١٩٩٠م.

الْمُسْلِمَ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ دَمُهُ وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ [١]

والاحتكار.فقد كَانَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ يُحَدِّثُ أَنَّ مَعْمَرًا قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ احْتَكَرَ فَهُوَ خَاطِئٌ [٢]

ومنها:النهي عن الغشّ فيما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى صُبْرَةِ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلًا فَقَالَ مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ قَالَ أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ أَفَلَا جَعَلْتَهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي"[٣]

وكذا النهى عن الغرر والخداع والتضليل وتطفيف الكيل والميزان وغيرِ ذلك مما ورد في عموم ما يضرُّ بالنفسِ والغير

الدلالة الدعوية فيه:وفي هذا المنهج من الدلالات الدعوية أنَّهُ يتوجَّبُ على الدعاةِ إرشادُ النّاسِ إلى العواقبِ الوخيمةِ لمخالفةِ الأمرِ والنهي ، ولفتُ أنظارهم إلى الفسادِ العامّ الذي يلزمُ كُلَّ قطاعاتِ المجتمعِ جَرَّاءَ ارتكابِ المحظورِ .

ومن المعلومِ لدى كلّ عاقلٍ أنَّ أنبياءَ الله تعالى ورسله قد بُعثواْ منذرين كما بُعثواْ مبشرين ، ﴿ رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [٤] ولذا كان من تمامِ مهمتهم أن ينذرواْ أقوامهم ويحذروهم

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب البر والصلة والآداب ، بَاب تَحْرِيمِ ظُلْمِ الْمُسْلِمِ وَخَذْلِهِ وَاحْتِقَارِهِ وَدَمِهِ وَعِرْضِهِ وَمَالِهِ ٤٢٦/١٢ (٤٦٥٠)

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب المساقاة ، بَاب تَحْرِيمِ الِاحْتِكَارِ فِي الْأَقْوَاتِ ٣١٢/٨ (٣٠١٢)

٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، بَاب قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا ٢٦٧/١ (١٤٧)

٤) سورة النساء الآية ١٦٥.

ومن النماذجِ التطبيقية فيه:أنْ يُحسِنَ الداعيةُ استغلالَ بعضِ الأزماتِ التي تقعُ لجمهوره أو بعضهم ، سيَّما إذا كانت أزماتٌ عامَّةٌ فيطرُقُ بابَ المخالفاتِ الشرعيّةِ المنتشرةِ في قومه مُحاولاً إصلاحَها ، مُتَّخِذاً من مثلِ هذه المواقفِ طريقاً للإصلاحِ وباباً للعلاجِ ، مخاطباً نياطَ القلوبِ التي ضعُفتْ وتأثرت جرّاء تلك الأزمات التي وقعت ، وفي السنة النبوية لفت انتباه الدعاة إلى البحثِ عن أمراضِ الأمةِ وبيانِ خطرِ الوقوعِ فيها والاستسلامِ لها .

ومن ذلك :ما جاء عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ– رضي الله عنهما– قَالَ: أَقْبَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: "يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ، خَمْسٌ إِذَا ابْتُلِيتُمْ بِهِنَّ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ تُدْرِكُوهُنَّ: لَمْ تَظْهَرْ الْفَاحِشَةُ فِي قَوْمٍ قَطُّ حَتَّى يُعْلِنُوا بِهَا إِلَّا فَشَا فِيهِمُ الطَّاعُونُ وَالْأَوْجَاعُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَضَتْ فِي أَسْلَافِهِمْ الَّذِينَ مَضَوْا،وَلَمْ يَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِلَّا أُخِذُوا بِالسِّنِينَ وَشِدَّةِ الْمَؤونَةِ وَجَوْرِ السُّلْطَانِ عَلَيْهِمْ،وَلَمْ يَمْنَعُوا زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ إِلَّا مُنِعُوا الْقَطْرَ مِنْ السَّمَاءِ وَلَوْلَا الْبَهَائِمُ لَمْ يُمْطَرُوا.

وَلَمْ يَنْقُضُوا عَهْدَ اللَّهِ وَعَهْدَ رَسُولِهِ إِلَّا سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَخَذُوا بَعْضَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ، وَمَا لَمْ تَحْكُمْ أَئِمَّتُهُمْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَيَتَخَيَّرُوا مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَّا جَعَلَ اللَّهُ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ"[١] .

١) أخرجه ابن ماجة في سننه ، أبواب الفتن ، باب العقوبات ٥/١٥٠(٤٠١٩) ، وذكره الحاكم في المستدرك ٤/٥٨٢ ، وقال : هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ ، والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٥/٣١٨ (٩٦١٦) ، وقال : : رجالهُ ثقاتٌ .

المطلب الثالث

الاعتناءُ بالحثِّ على الاحترافِ وذكرِ فضله

يعدُّ ذكرُ الاحتراف والحثُّ عليه وتوضيحُ فضله منهجاً تربوياً أصيلاً لتوجيه الحرفيينَ وزرعِ الثقةِ فيهم وتحبيب السعي إليهم ، فضلاً عن تغييرِ نظرةِ الناسِ السلبيةِ إليهم ، ومن ذلك:

١-بيانُ النبي ﷺ أجرَ الاحترافِ وما لصاحبه عند الله تعالى يومَ القيامة ، فقد جاء عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ :" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ"[١].

وفيه:(فَضِيلَة الْغَرْس ، وَفَضِيلَة الزَّرْع ، وَأَنَّ أَجْر فَاعِلِي ذَلِكَ مُسْتَمِرّ مَا دَامَ الْغِرَاس وَالزَّرْع ، وَمَا تَوَلَّدَ مِنْهُ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة)[٢]،

ولك أن تتأمل ما في الحديث من معنى الترغيب في الحِرَفِ والصناعات المجتمعية التي يتعدى أثرُها طوائفَ كثيرة ، فبغرسه أكلت كلُّ الأجناسِ ، ولذا استحقَّ دوامَ الأجرِ بدوامِ بقاءِ الغرس ولو مات الغارس

قال المناوي :(مقتضاه أن أجر ذلك يستمر ما دام الغرس مأكولا منه ولو مات غارسه أو انتقل ملكه لغيره قال ابن العربي : في سعة كرم الله أن يثيب على ما بعد الحياة كما قبل الحياة) [٣].

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المزارعة ، بَاب فَضْلِ الزَّرْعِ وَالْغَرْسِ إِذَا أُكِلَ مِنْهُ وَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا ﴾ ١١٨/٨ (٢١٥٢) ، مسلم في صحيحه ، كتاب المساقاة ، بابُ فضلِ الغرس والزرع ١١٩٨/٣(١٥٥٣) .

٢) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ٢١٣/١٠ ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة : الثانية ١٣٩٢.

٣) فيض القدير، المناوي ٦١٣/٥ ، طبعة : دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م

، بل قد يُخفّف عن الكافر الغارس من العذابِ بغرسه إذا قصدَ به مشروعاً ولم يتعداه إلى ممنوع ، وقد(خُصَّ المسلمُ بالذكر لأنه ينوي عند الغرس غالبًا أن يتقوَّى بثمر ذلك الغرس المسلمون على عبادة الله تعالى ، وأما الكافر فغايته أن يُخَفَّف العذاب عنه ، وقد يُطعَمُ في الدنيا ، ويُعطَىَ بذلك) [١]

٢-اعتبار كسب اليد من أطيب المكاسب :

فعن رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ ﷺ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَيُّ الْكَسْبِ أَطْيَبُ؟ قَالَ: " عَمَلُ الرَّجُلِ بِيَدِهِ وَكُلُّ بَيْعٍ مَبْرُورٍ "» [٢] .

٣-الاعترافُ بالقليلِ منه وتفضيلُه على مسألة الناس:

فعَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ " [٣]

فجعلَ الاحتطابَ مع مشقته وشدة مؤنته عملاً ذا بالٍ وفضّلهُ على المسألة وَفِي الحديثِ الشريفِ (الْحَضُّ عَلَى التَّعَفُّفِ عَنْ الْمَسْأَلَةِ وَالتَّنَزُّهِ عَنْهَا وَلَوْ اِمْتَهَنَ الْمَرْءُ نَفْسه فِي طَلَبِ الرِّزْقِ وَارْتَكَبَ الْمَشَقَّة فِي ذَلِكَ ، وَلَوْلَا قُبْحُ الْمَسْأَلَةِ فِي نَظَر الشَّرْع لَمْ يُفَضَّلْ ذَلِكَ عَلَيْهَا وَذَلِكَ لِمَا يَدْخُلُ عَلَى السَّائِلِ مَنْ ذُلّ السُّؤَالِ وَمِنْ ذُلّ الرَّدّ إِذَا لَمْ يُعْطَ وَلِمَا يَدْخُلُ عَلَى الْمَسْئُولِ مِنْ الضِّيقِ فِي مَالِهِ إِنْ أَعْطَى كُلَّ سَائِل) [٤].

---

١) المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم ، أبو العبَّاس القرطبيُّ ، ٥٨/١٤

٢) أخرجه أحمد في مسنده ٥٠٢/٢٨ (١٧٢٦٥) والطبراني في المعجم الكبير ٢٧٦/٤ (٤٤١٢) ، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٦١/٤ (٦٢١٣) وقال : رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَالْكَبِيرِ، وَرِجَالُهُ ثِقَاتٌ .

٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، بَاب الِاسْتِعْفَافِ عَنْ الْمَسْأَلَةِ ٣١٩/٥ (١٣٧٧)

٤) فتح الباري لابن حجر ٩٠/٥ (١٣٧٨) .

الدلالة الدعوية : وجوبُ بيانِ الداعية للأشياء الفاضلة التي ينصلحُ بها الحالُ والمآلُ ابتداءً ، وعدمُ انتظارِه حتى تقع الحاجة ويتوجّبُ التوجيهُ ،وكم رأينا نبينا الكريم ﷺ يبتدرُ أصحابه بالوعظ والتذكيرِ دون انتظارِ الموجِبِ ، واعتبار ذلك من مقتضياتِ رسالته وأولوياتِ مهمته ، لأنَّ الداعية (صاحب حركة دائبة لا يكفُّ عن الدعوة ، ولا يخمدُ عن العمل ، يزورُ هذا ويدعو ذاك ، ويتحدَّثُ إلى آخرَ ، ويدورُ على الأنديةِ والمجالس ، ويقيمُ الولائمَ ويتحدثُ إلى كلِّ مَنْ يقابله) [١]

ومن تطبيقاتِ هذا دعوياً : أنْ يبتدءَ الداعية قومه وجمهوره بإنشاء مراكزَ للتحفيظ ، وإقامةِ دوراتٍ للتعليم ، وعقدِ ندواتٍ للتثقيف ، واستخراجِ دروسٍ من آياتٍ كريماتٍ أَمَّ بها الناسَ ، وغيرِ ذلك مما يراه مناسباً لبيئته وموافقاً لمنطقته حتى يعيشَ هوَ ويعيشُ الناسُ معه همَّ دعوته فبها ينطلق ومن أجلها يعمل وفي سبيلها يسعى .

١) تذكرة الدعاة ، البهيّ الخولي ص ٢٥٤.

المطلب الرابع :

تشجيع المحترف المحسن والحثُّ على الاقتداء بمسلكه

لم يكتف النبي ﷺ بالحثِّ على الاحترافِ للتّكسُّبِ والاقتياتِ ، بل شجّعَ المحترِفَ المحسنَ لصنعته المتقنَ لها على الإجادة ، وذلك بعدة طرق منها :

١- **ذكره في المجلس على الملأ والثناء على صنعته** : فقد كان ﷺ يشيد بالمبدعين من أصحاب الصنائع، ويُوكلهم بالأعمال، كما جاء عن قيس بن طلْق عن أبيه قال: بنيتُ مع رسول الله ﷺ مسجدَ المدينة ، فكان يقول: " قدِّموا اليماميَّ من الطِّين؛ فإنَّه من أحسنِكم له مسًّا وأشدِّكم منكبًا " (١).

٢- **إجابة دعوته واشتهار ذلك بين الناس** ، فلم يكُ يستنكفُ من ذلك ﷺ ، ومن ذلك : ما جاء عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّهُ سَمِعَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ إِنَّ خَيَّاطًا دَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِطَعَامٍ صَنَعَهُ ، قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ فَذَهَبْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَى ذَلِكَ الطَّعَامِ فَقَرَّبَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ خُبْزًا وَمَرَقًا فِيهِ دُبَّاءٌ وَقَدِيدٌ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَتَبَّعُ الدُّبَّاءَ مِنْ حَوَالَيْ الْقَصْعَةِ قَالَ فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ " (٢)

---

١) اخرجه أحمد في مسنده ٤٦٣/٣٩ (٢٧) ، والطبراني في المعجم الكبير ٣٣٢/٨ (٨٢٤٢) وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد ١١٣/٢(١٩٥١) وقال : رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجاله موثقون .

٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كِتَاب الْبُيُوعِ وَقَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا ﴾ وَقَوْلُهُ ﴿ إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ ﴾ ، بَابُ ذِكْرِ الْخَيَّاطِ ٣/ ٦١ (٢٠٩٢) ، وفي كتاب الأطعمة ، بَاب مَنْ أَضَافَ رَجُلًا إِلَى طَعَامٍ وَأَقْبَلَ هُوَ عَلَى عَمَلِهِ ٦١/١٧ (٥٠١٥) ، ومسلم في كتاب الأشربة ، باب جواز أكل المرق واستحباب أكل اليقطين وإيثار أهل المائدة بعضهم بعضا وإن كانوا ضيفانا إذا لم يكره ذلك صاحب الطعام ١٦١٥/٣ (٢٠٤١) و الدباء هو اليقطين (القرع) الواحدة دباءة ، انظر صحيح مسلم بشرح محمد فؤاد عبد الباقي ٣/ ١٦١٥ ، طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت .

ولا يخفى ما في إجابته ﷺ دعوة من دعاه من أهلِ الحِرَفِ وأرباب الصناعات من مدحِ مسيرِهِ وارتفاعِ شأنهِ وتشجيعِهِ على الإحسانِ والإجادة.

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، يُكْنَى أَبَا شُعَيْبٍ، فَقَالَ لِغُلاَمٍ لَهُ قَصَّابٍ: اجْعَلْ لِي طَعَامًا يَكْفِي خَمْسَةً، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَدْعُوَ النَّبِيَّ ﷺ خَامِسَ خَمْسَةٍ، فَإِنِّي قَدْ عَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الجُوعَ، فَدَعَاهُمْ، فَجَاءَ مَعَهُمْ رَجُلٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «إِنَّ هَذَا قَدْ تَبِعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ أَنْ تَأْذَنَ لَهُ ، فَأْذَنْ لَهُ وَإِنْ شِئْتَ أَنْ يَرْجِعَ رَجَعَ». فَقَالَ: لاَ، بَلْ قَدْ أَذِنْتُ لَهُ [1]

الدلالة الدعوية : ويُستفادُ من هذا دعويَّاً أنَّهُ لا بأسَ بمدحِ الداعيةِ للمحسنِ من جمهوره إذا رأى أنَّ في ذلك مصلحةً مشروعةً واقتداءَ العامّةِ بمثلِ صنيعِهِ ، أو إزالةِ شبهةٍ ، وقد ضمنَ مع كلِّ هذا خُلُوَّ قلبِ الممدوحِ من العُجْبِ والغرور كما أنَّ الثناء والشكر على مَن يستحقُّه عملٌ شريفٌ وخُلُقٌ لا تتخلق به إلا النفوس الشريفة، وقد سمى الله تعالى نفسه شاكراً فقال:﴿ وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [2] ، وقال: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴾ [3]. ووصفُ الله تعالى لنفسه بذلك من بابِ تعليمنا الأدبَ مع المحسنِ (فَقَدْ عَلَّمَنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهَذَا أَدَبًا مِنْ أَكْمَلِ الْآدَابِ بِمَا سَمَّى إِحْسَانَهُ وَإِنْعَامَهُ عَلَى الْعَامِلِينَ شُكْرًا لَهُمْ مَعَ أَنَّ عِلْمَهُمْ لَا يَنْفَعُهُ وَلَا يَدْفَعُ عَنْهُ ضُرًّا، فَيَكُونُ إِنْعَامًا عَلَيْهِ وَيَدًا عِنْدَهُ، وَإِنَّمَا مَنْفَعَتُهُ لَهُمْ، فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مِنْ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ إِذْ هَدَاهُمْ إِلَيْهِ وَأَقْدَرَهُمْ عَلَيْهِ، فَهَلْ يَلِيقُ بِمَنْ يَفْهَمُ

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب البيوع ، بَابُ مَا قِيلَ فِي اللَّحَّامِ وَالجَزَّارِ ٣/ ٥٨ (٢٠٨١) ، أخرجه مسلم في الأشربة باب ما يفعل الضيف إذا تبعه غير من دعاه ٢/٧٣٢. (٢٠٣٦) .

٢) سورة البقرة من الآية رقم ١٥٨.

٣) سورة النساء من الآية رقم ١٤٧.

هَذَا الْخِطَابَ الْأَعْلَى أَنْ يَرَى نِعَمَ اللهِ عَلَيْهِ لَا تُعَدُّ وَلَا تُحْصَى وَهُوَ لَا يَشْكُرُهُ وَلَا يَسْتَعْمِلُ نِعَمَهُ فِيمَا سِيقَتْ لِأَجْلِهِ؟ ثُمَّ هَلْ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يَرَى بَعْضَ النَّاسِ يُسْدِي إِلَيْهِ مَعْرُوفًا ثُمَّ لَا يَشْكُرُهُ لَهُ وَلَا يُكَافِئُهُ عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ هُوَ فَوْقَ صَاحِبِ الْمَعْرُوفِ رُتْبَةً وَأَعْلَى مِنْهُ طَبَقَةً) [١]

وهاهو القائد الأعظم، ﷺ الذي كسب بِقِيَمِه صفوةَ الرجال، وصنع بأخلاقه وتشجيعه الأبطال يُثني ويشكر الناس على محاسن أعمالهم، وفضائل خِصَالِهِم، فيشكر رجلاً في وجهه فقَالَ ﷺ لِلْأَشَجِّ أَشَجِّ عَبْدِ الْقَيْسِ " إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللَّهُ الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ " [٢] ويشكر ويُثني على آخر فيقول: " نِعْمَ الرَّجُلُ عَبْدُ اللَّهِ لَوْ كَانَ يُصَلِّي مِنْ اللَّيْلِ فَكَانَ بَعْدُ لَا يَنَامُ مِنْ اللَّيْلِ إِلَّا قَلِيلًا " [٣] وأما شكره لأبي بكرٍ ﷺ فلا يُحصر، وثناؤه على عمر ﷺ أشهرُ مِنْ أنْ يُذكر. وهي دالَّةٌ على صفاءِ قلب المثني والمادحِ وطيبِ نفسه ، كما أنّها مشجعة للممدوحِ ليستمرَ عطاؤه ويزدادَ خيرُهُ ونماؤه ، والنّفوسُ إلى ذلك محتاجة إذ لا يستغني عن ذلكَ أحدٌ مهما كبُر سنُّه وعظُم قدره ولو كانَ يستغني عن الشّكرِ ماجدٌ ... لرفعة شأنٍ أوْ علوّ مكانٍ لَمَا أمرَ اللهُ العبادَ بشكرِهِ ... فقالَ اشكروني أيُّها الثّقلانِ [٤]

---

١) تفسير القرآن الحكيم ، محمد رشيد رضا ٣٩/٢ ، طبعة :الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة : ١٩٩٠م

٢) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، بَاب الْأَمْرِ بِالْإِيمَانِ بِاللَّهِ تَعَالَى وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَشَرَائِعِ الدِّينِ وَالدُّعَاءِ إِلَيْهِ وَالسُّؤَالِ عَنْهُ وَحِفْظِهِ وَتَبْلِيغِهِ مَنْ لَمْ يَبْلُغْهُ ١٠٧/١ (٢٤)

٣) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الجمعة ، بابُ فضلِ قيامِ الليلِ ٢٨٠/٢ (١٠٥٤) ، ومسلم في كتاب الفضائل ، باب فضل عبد الله بن عمر ١٩٢٧/٤ (٢٤٧٩)

٤) نسبها الثعالبي لمحمود بن حسن الورّاق ، انظر : لباب الآداب ، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري ١٨٣/١ ، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ – ١٩٩٧ م ، وكذا نسبها له صاحب الدر الفريد وبيت القصيد ، محمد بن أيدمر المستعصمي ٧٤/٨ ، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م

إنَّ صاحبَ هذه الصفة الرفيعة: يشارك المحسن والعامل أجره وعمله لأنَّهُ تسبَّبَ في مُواصلته واسْتمراره وثباته على عمله الصالح فعَنْ أَنَسٍ ﷺ ، قَالَ : لَمَّا قَدِمَ النَّبِيُّ ﷺ الْمَدِينَةَ أَتَاهُ الْمُهَاجِرُونَ فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ ، مَا رَأَيْنَا قَوْمًا أَبْذَلَ مِنْ كَثِيرٍ وَلاَ أَحْسَنَ مُوَاسَاةً مِنْ قَلِيلٍ مِنْ قَوْمٍ نَزَلْنَا بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ لَقَدْ كَفَوْنَا الْمُؤْنَةَ وَأَشْرَكُونَا فِي الْمَهْنَإِ حَتَّى لَقَدْ خِفْنَا أَنْ يَذْهَبُوا بِالأَجْرِ كُلِّهِ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : لاَ مَا دَعَوْتُمُ اللَّهَ لَهُمْ وَأَثْنَيْتُمْ عَلَيْهِمْ. " [1]

ومعنى الحديث: أنَّ الأنصارَ مِن شدَّة إيثارهم للمهاجرين، وكثرة نفقاتهم خاف المهاجرون أنْ يَذهبَ الأنصارُ بالأجر كله ، فقال لهم رسول الله ﷺ : "لا" ، أي لا يفضلونكم ولا يحوزون بالأجر وحدهم ، إذا كنتم تدعون لهم وتُثنون عليهم وتُشجعونهم على محاسن أعمالهم ، فتُعْطَون على الدعاء والثناء من الأجر ما يُعْطَوْنَ هم على النفقة والعطاء

كما أنَّ كثرة النقد تُميتُ العزائم، وتُوهن الهمم ، فكذلك الاعترافُ بالإحسانِ مُحيٍ للعزائمِ مُقَوٍّ للهِمَمْ ، وقد جاء عَنْ أَبِي سَعِيدٍ ﷺ قَالَ :

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : " مَنْ لَمْ يَشْكُرْ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرْ اللَّهَ " [2].

فلِيَكن الثناءُ والتشجيع هو السمةُ البارزةُ فينا، فبه تُسْتَنْهَضُ النفوس للعمل، ويحيا الفألُ والأمل، ويُقْضَى على الخمولِ والكسل..

---

١) أخرجه الترمذيُّ في سننه ٢٣٤/٢ (٢٤٨٧) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ

٢) أخرجه الترمذيُّ في سننه كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، بَاب مَا جَاءَ فِي الشُّكْرِ لِمَنْ أَحْسَنَ إِلَيْكَ ٢١١/٧ (١٨٧٨) وقال : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ

المطلب الخامس

التحذيرُ من المحترفِ المسيئ والتنفيرُ من مسلكِهِ

وكما يحظى المحترفُ المحسنُ بالتشجيع والإشادة ، فكذلك ينبغي أنْ تُوَجَّهُ الانتقاداتُ للمسيئ حتى يحذرَ اتيانَ القبيحِ فتسلَمَ لهُ نفسُهُ ويسلمَ منه المجتمع ، وبذا يُعطىَ كلٌّ ما يناسبُ فعله ويتحقق التوازن

ولا يستغني عن ذلك مجتمعُ من المجتمعات فهو بين الترغيب والترهيب يعيش

وقد رأينا هذا أحَدَ مناهجِ تقويمِ الحرفيينَ في الإسلامِ حين ذكر رسول الله ﷺ بعض المسالك المشينة في بعضهم وحذَّرَ منها ، ومن ذلك :

١ – التحذير من الحلف الكاذب:

يخطئ كثير من الحرفيينَ عندما يتبرعون بحلف الأيمان لحاجة ولغير حاجة؛ من أجل الترويج لحرفتهم ، وقد قال رسول الله ﷺ : " ثَلاَثَةٌ لاَ يَنْظُرُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ...، وَرَجُلٌ أَقَامَ سِلْعَتَهُ بَعْدَ الْعَصْرِ، فَقَالَ: وَاللَّهِ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ لَقَدْ أَعْطَيْتُ بِهَا كَذَا وَكَذَا، فَصَدَّقَهُ رَجُلٌ، ثُمَّ قَرَأَ هَذِهِ الآيَةَ: (إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً)" [١] . وإنما خصّ النبي ﷺ وقت العصر (لِأَن الْغَالِب أَن مثله كَانَ يَقع فِي آخر النَّهَار حَيْثُ أَرَادوا الانعزال عَن السُّوق والفراغ عَن معاملتهم) [٢] فيفتري الكذب ويستهين باسم الله، فيستهين الله به يوم القيامة.

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب المساقاة ، بَاب إِثْمِ مَنْ مَنَعَ ابْنَ السَّبِيلِ مِنْ الْمَاءِ ١٧٤/٨ (٢١٨٦)

٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، أبو محمد محمود بدر الدين العينى ٢٠٠/١٢ ، طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢ – التحذيرُ من ظلم الأُجراء :

وهو باب يتفنَّن فيه كثير من أرباب الحِرَفِ .. فيُدخلون على أموالهم ما ينبغي أن يُردَّ على أُجَرائهم، فيقعون بالشبهة والحرام، وقد قال ﷺ : " قَالَ اللَّهُ: ثَلاَثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتوفي مِنْهُ، وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ" (١)

الدلالة الدعوية فيه : من هذا المنهج ينبغي أن يتعلَّم الداعيةُ وجوبَ علاجِه لأدواءِ جمهوره دون خوفٍ أو وجَلٍ ، وهذا شأنُ الداعيةِ الحقّ ، والمتامّلُ في سيرة الأنبياء والمرسلين يلحظ جأرَهم بالحقِّ ، ونطقَهم بما وقعت فيه أقوامهم صارخٌ واضحٌ

أمّا إبراهيمُ عليه السلام فقد قال لقومه : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ (٢) وذاكَ إعلانٌ صريحٌ لمخالفاتهم التتي يرتكبونها ، وقد جرَّه ذلك الإعلانُ للتَّبرؤ منهم ومن عبادتهم فقال : ﴿ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴾ (٣)

وكذلك صنع لوطٌ عليه السلام حين ضاق ذرعاً بقومه معلناً سُخطَهُ عليهم وتبَرُّمَهُ منهم ومن أفعالهم : ﴿ أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَالُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ رَبِّ نَجِّنِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ ﴾ (٤)

ونظيره اعتراضَ شعيبٍ عليه السلام على سوء أخلاقِ قومِهِ ورداءة معاملاتهم ناصحاً إيَّاهم بالالتزامِ والوفاء : ﴿ أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب البيوع ، بَاب إِثْمِ مَنْ بَاعَ حُرًّا ٤٧١/٧ (٢٠٧٥)

٢) سورة الصافات ٩٥–٩٦.

٣) سورة الشعراء الآيات من ٧٥–٧٧ .

٤) سورة الشعراء الآيات ١٦٥–١٦٩.

وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾ (١)

وهكذا رأينا وثوقَ صلة الداعيةِ بواقعِ مدعويه وكشفَهُ عن أدوائِهم ، إنها ساحته التي فيها يحارب وعليها ينازل ، وعلى قدر إدراكه بأبعادِ معركته وضراوةِ عدوِّه على قدرِ ما يُكتَبُ له من النجاح ، لهذا وجب أن يتسلَّحَ بسلاحِ الشجاعة ، وأن يرتدي ثوبَ القوة ، وأن يُحسِنَ المنازلة والمناظرة ، وهذا الإحسانُ ضربٌ من ضروبِ مهمته ، وبابٌ من أبوابِ مسؤليته ، يدفعُهُ إلى ذلكَ دفعاً إدراكُهُ (أنَّ الشجاعة خلقٌ أصيلٌ من أخلاقِ الدعاة إلى الله ، وشيمةٌ لا تنفكُّ عنهم ..... مدد هذه الشجاعة الواجبة ، ونبعها الدافق ، أن حق الله لابد أن يسود ، وأن هداه لابد أن يعلو ، وأن منهجه لابد أن تتضح معالمه وترسو دعائمه ، وأن المنتسبين إليه ما ينبغى أن تخفُتَ أصواتُهم ، ولا أن يُغلَبوا على تعاليمهم .

..... على الدعاة أن يضاعفوا يقظاتهم وتضحياتهم ، وأن يُكَرِّسُوا أوقاتَهم وأفكارَهم لتَعَرُّفِ حاجاتِ الحقِ وإجابتِها ، وتفقُّدِ مواطنَ الضعفِ فى أسواره وحمايتِها ، وتحَسُّسَ مظانَّ الهجومِ عليه لإحباطِ كل كيدٍ ، وإرهابِ كلِ خصمٍ.

إذا لم يكن الداعية المسلم شجاعا ، مطيقا لأعباء رسالته ، سريعا إلى تلبية ندائها، جريئا على المبطلين ، مغوارا فى ساحاتهم ، فخير له أن ينسحب من هذا المجال وألا يفضح الإسلام بتكلف مالا يحسن من شئونه) (٢)

ومن التطبيقاتِ الدعويةِ لهذا المنهجِ في حياةِ الدعاة : تنميةُ روحِ النقدِ الواقعي لدى الداعية وتَمَكُّنِهِ من دقة النظر والتَّأملِ فيمن حولَهُ .

---

١) سورة الشعراء ١٨١-١٨٣.

٢) مع الله ، دراسات في الدعوة والدعاة ، محمد الغزالي ١٦٨-١٦٩. طبعة نهضة مصر ، الطبعة الثامنة ٢٠٠٧م .

المطلب السادس

المتابعة الدقيقة للحرفيين وتوجيههم ودلالتُها الدعوية

لم يكتف الإسلامُ بأمرِ أهلِ الحِرَفِ والصناعاتِ ونهيهم وترغيبهم وترهيبهم ، بل لا زال يتابعُهم ويستقصي أمرهم ويقيس اذعانهم أو رفضهم حتى يطمئن لسلامة الاستماعِ وحُسْنَ التنفيذِ

ومن شأنهِ في ذلك

١- أنّ النبي ﷺ كان يمرُّ في الأسواقِ يتابعُ أحوالَ الناسِ فيه ، فإذا رأى ما يخالفُ شرعاً أو يهدِمُ نصّاً ، أو يصطدمُ بأصلٍ ثابتٍ خصّهُ بمزيدِ اهتمام ، ودرجةِ رعاية ، وأنكره وعلَّقَ عليه ، ووجَّهَ إلى الصوابِ فيه ، ومن ذلك : أنَّه ﷺ مرَّ في السوقِ على رجلٍ يجلسُ أمامَ دارِهِ يكشفُ عن فخذيهِ ، فنهاه عن ذلك ، وأوضح له أنَّ الفخذينِ عورة ، فعن مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ، عَنْ مَوْلَاهُ مُحَمَّدٍ، أَنَّهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَمَرَّ عَلَى مَعْمَرٍ[١] وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَ دَارِهِ بِالسُّوقِ وَفَخِذَاهُ مَكْشُوفَتَانِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «يَا مَعْمَرُ، غَطِّ فَخِذَيْكَ فَإِنَّ الْفَخِذَيْنِ عَوْرَةٌ»[٢]

فانظر كيف كان النبي ﷺ يمرُّ فيتابعُ ، ولم يكن مروره مروراً طارئاً بلا هدفٍ أو توجيهٍ مع كون تغطيةِ الفخذين وسترِ العورة من عموم ما جاءت به شريعتُهُ ﷺ لكنَّ متابعته ﷺ للموقف هنا استدعت مخصوصَ عظةٍ متابعةُ السلوك الحِرَفي وتوجيهه : ومن ذلك أنّهُ ﷺ

---

١) معمر بن عبد الله بن نافع بن فضلة العدوي ، وهو ابن أبي معمر ، صحابيٌّ كبيرٌ من مهاجرة الحبشة ، انظر : تقريب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ٥٤١/١٠ ، طبعة دار الرشيد – سوريا ، سنة ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦مـ .

٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ٢٤٥/١٩ (٥٥٠) ، وأحمد في مسنده ٢٩٠/٥ (٢٢٥٤٨) وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٥٢/٢ ، وقال : رواه الطبراني في الكبير وأحمد ، ورجال أحمد ثقاتٌ

مرّبسوق المدينةِ فرأى رجلاً يبيعُ طعاماً قد تبلّلَ ، وقد جعلَ الرجلُ فاسدَ الطعامِ في أدنى الإناءِ وطيّبَهُ في أعلاهُ ، فمدَّ رسولُ الله ﷺ يدَهُ فإذا بالبلل يصيبُ يدَهُ

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ (مَرَّ عَلَى صُبَرٍ مِنْ طَعَامٍ فَأَدْخَلَ يَدَهُ فِيهَا ، فَنَالَتْ أَصَابِعُهُ بَلَلا ، قَالَ :مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ ؟قَالَ : أَصَابَتْهُ السَّمَاءُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ ، قَالَ: أَفَلا جَعَلْتَ فَوْقَ الطَّعَامِ حَتَّى تَرَاهُ النَّاسُ مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا) [١] فلم يكتفِ بالنظرة السطحية المجردةِ حتى مدَّ يدهُ وباشرَ فلمَّا وجدَ مقتضى الوعظِ وعظَ

الدلالة الدعوية : ومن الدلالات الدعوية لهذا المنهج وجوبُ متابعةِ الداعيةِ أحوالَ مدعوّيهِ ، والتَّنبُّهَ لما يطرأُ عليهم من تغيراتٍ سلبيَّةٍ أو إيجابية ، وتشخيصَ هذه التغيراتِ بإنكارِ السيئِ منها وإقرارِ الصالحِ (إنّ نجاحَ الداعيةِ أنْ يجعلَ دعوَتَهُ مسألةً حيويةً حارَّةً يتحدث بها الناسُ في مجالسهم ومنازلهم ومع أصدقائهم وأهليهم ، أمَّا أنْ تبقى على هامشِ الحياةِ فلا) [٢]

ليست الدعوةُ عند اصحابِ العقولِ الراجحة والقلوبِ الواضحةِ كلماتٍ جوفاءَ تخرجُ من بينِ ثنايا الأسنان تتحركُ بها الشفاهُ دون إدراكٍ ووعي ،ولا حتى متابعةٍ لأثر أو تدبُّرٍ لخبر ، بل الداعيةُ الحقُّ هو الذي يريدُ إنجازَ المهمة لا إبراءَ الذِّمة ، وقد رأينا سيّدَ الدعاة ﷺ في غيرِ موقفٍ يتابعُ ويوجه ، ألم يأتكَ نبأُ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ دَخَلَ الْمَسْجِدَ ، فَدَخَلَ رَجُلٌ فَصَلَّى ثُمَّ جَاءَ فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيّ ﷺ ، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ : (وَعَلَيْكَ السَّلامُ ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ) حَتَّى فَعَلَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فَقَالَ الرَّجُلُ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أُحْسِنَ غَيْرَ هَذَا فَأَرِنِي وَعَلِّمْنِي قَالَ إِذَا قُمْتَ إِلَى

١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الإيمان ، باب قول النبي ﷺ من غشنا فليس منا ٩٩/١ (١٠١)
٢) تذكرة الدعاة ، البهيّ الخولي ص ٢٥٥.

الصَّلاةِ كَبِّرْ ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاتِكَ كُلِّهَا " [1]

تأمّلْ كيف تابعه ثلاثَ مراتٍ من منطلقِ مسؤليته ، ولم ينصرف عنه حتى وجّهه وعلّمه ولم تكُ تلك المتابعةُ لفردٍ واحدٍ ، بل كانت تتجاوزُ المتابعةَ الفرديّةَ للمتابعةِ الجماعيَّةِ ، وما حديثُ الثلاثةِ نفرٍ ممن دخلواْ مسجدَ رسولِ اللهِ ﷺ – وهو يعظُ ويُذَكِّرُ ، ومع هذا تابعَ حالهم ولفتَ الناسَ لأمرهم – عنا ببعيدٍ فعَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَيْنَمَا هُوَ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَالنَّاسُ مَعَهُ إِذْ أَقْبَلَ ثَلَاثَةُ نَفَرٍ فَأَقْبَلَ اثْنَانِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَذَهَبَ وَاحِدٌ. قَالَ: فَوَقَفَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ، فَأَمَّا أَحَدُهُمَا فَرَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا، وَأَمَّا الْآخَرُ فَجَلَسَ خَلْفَهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِثُ فَأَدْبَرَ ذَاهِبًا، فَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ عَنِ النَّفَرِ الثَّلَاثَةِ؟ أَمَّا أَحَدُهُمْ فَأَوَى إِلَى اللَّهِ فَأَوَاهُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَاسْتَحْيَا فَاسْتَحْيَا اللَّهُ مِنْهُ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَأَعْرَضَ فَأَعْرَضَ اللَّهُ عَنْهُ» [2] فرغم انشغاله بالموعظةِ والتذكيرِ إلاَّ أنَّهُ ﷺ تابَعَ الأمرَ وفَصَّلهُ ودلَّ الناسَ على دلالاته ، وهكذا الداعية المصيبُ لا يكونُ في غفلةٍ عمّا يدورُ حولَهُ، بل يتابعُ أحوالَ الناسِ الدينية والمعيشية إذ هي مصدرُ موضوعاته ،ومحلُّ توجيهاته وعظاتِه.

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الأذان ، بَاب وُجُوبِ الْقِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالْمَأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافَتُ ٢٠٥/٣ (٧١٥) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، بَاب وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنْ الْفَاتِحَةَ وَلَا أَمْكَنَهُ تَعَلُّمَهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا ٣٥٦/٢ (٦٠٢)

٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب العلم ، بَاب مَنْ قَعَدَ حَيْثُ يَنْتَهِي بِهِ الْمَجْلِسُ وَمَنْ رَأَى فُرْجَةً فِي الْحَلْقَةِ فَجَلَسَ فِيهَا ١١٦/١ (٦٤) ، ومسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، بَاب مَنْ أَتَى مَجْلِسًا فَوَجَدَ فُرْجَةً فَجَلَسَ فِيهَا وَإِلَّا وَرَاءَهُمْ ١٥٣/١١ (٤٠٤٢)

المطلب السابع

اختيارُ المناسبِ من الحِرَفِ للأفرادِ ودلالتُهُ

من منهج الدعوة في توجيه أهلِ الحِرَفِ والصناعات اصطفاءَ المناسبِ منها لحالة الصانعِ النفسية والجسدية ، وكذا المناسبَ لحاجة المجتمع أيضاً، ومن ذلك:

حث النبي ﷺ من لا عمل لهم على تعلم حرفة تحميهم من الفقر، ولو كان العمل صعباً وناتجه ضعيف لأنّه الأنسبُ لحالهم

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ أَنَّ رَجُلًا مِنْ الْأَنْصَارِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ، فَقَالَ: لَكَ فِي بَيْتِكَ شَيْءٌ ؟ قَالَ : بَلَى : حِلْسٌ نَلْبَسُ بَعْضَهُ وَنَبْسُطُ بَعْضَهُ وَقَدَحٌ نَشْرَبُ فِيهِ الْمَاءَ قَالَ ائْتِنِي بِهِمَا قَالَ فَأَتَاهُ بِهِمَا فَأَخَذَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِيَدِهِ ، ثُمَّ قَالَ : مَنْ يَشْتَرِي هَذَيْنِ ؟ فَقَالَ رَجُلٌ : أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمٍ ، قَالَ: مَنْ يَزِيدُ عَلَى دِرْهَمٍ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا ؟ قَالَ رَجُلٌ: أَنَا آخُذُهُمَا بِدِرْهَمَيْنِ ، فَأَعْطَاهُمَا إِيَّاهُ وَأَخَذَ الدِّرْهَمَيْنِ فَأَعْطَاهُمَا الْأَنْصَارِيَّ وَقَالَ اشْتَرِ بِأَحَدِهِمَا طَعَامًا فَانْبِذْهُ إِلَى أَهْلِكَ وَاشْتَرِ بِالْآخَرِ قَدُومًا فَأْتِنِي بِهِ فَفَعَلَ فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَشَدَّ فِيهِ عُودًا بِيَدِهِ ، وَقَالَ: اذْهَبْ فَاحْتَطِبْ وَلَا أَرَاكَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا ، فَجَعَلَ يَحْتَطِبُ وَيَبِيعُ ، فَجَاءَ وَقَدْ أَصَابَ عَشْرَةَ دَرَاهِمَ ، فَقَالَ اشْتَرِ بِبَعْضِهَا طَعَامًا وَبِبَعْضِهَا ثَوْبًا ، ثُمَّ قَالَ : هَذَا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَجِيءَ وَالْمَسْأَلَةُ نُكْتَةٌ فِي وَجْهِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، إِنَّ الْمَسْأَلَةَ لَا تَصْلُحُ إِلَّا لِذِي فَقْرٍ مُدْقِعٍ أَوْ لِذِي غُرْمٍ مُفْظِعٍ أَوْ دَمٍ مُوجِعٍ) [١] .

لقد دلّه على العملِ المناسبِ لحاله المادي والجسدي ، ولم يُكلّفهُ شراءَ كثيرِ معدات أو عديدَ آلاتٍ فليست الفرصةُ سانحةً لهذا ، والرجل لا زال

١) أخرجه أبو داود في سننه ، كتاب الزكاة ، باب ما تجوز فيه المسألة ٣/٨١ ، وابن ماجة في سننه ، كتاب التجارات ، باب بيع المزايدة ٢/٧٤٠ (٢١٩٨) .

فقيراً لا يملُك، وهو درسٌ عمليٌ نُلقيه بين يدي قوةٍ هائلةٍ من شبابِ أمتنا ممن يتأبّوْنَ على كثيرٍ من الحِرَفِ ويرون فيها قلّةَ الجدوى وضعفَ المورد غير مقدرين لطبيعةِ المرحلة – مع كون أياديهم شاغرة وأفواههم جائعة – فتكون النتيجة أن لا عملَ أصلا

ولعلهم قدَّروا فأساءوا التقدير ، وفكَّروا فأخطأوا التفكير ، إنهم يعتبرون الوظائف الحكومية والأعمالَ المكتبية هي الغاية والمرتجى ، ولو أعادوا النظر ربما وجدوا ثمرة احترافهم أكثرَ مما عندَ غيرهم .

لقد تعلَّمَ الصحبُ الكرامُ الدرسَ العملي الذي رأَوْهُ بأعينهم وسمعوا آثاره بآذانهم ،فرأوا أنَّ المناسبَ لمن كانت حالُهُ شبيهةً بحال هذا أنْ يصنعَ مثلَ صنيعه، فكانوا يسعون إلى تحصيلِ مثلَ ما حصَّلَ ، كما ورد

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ [1] قَالَ: " كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَأْمُرُنَا بِالصَّدَقَةِ ، فَمَا يَجِدُ أَحَدُنَا شَيْئًا يَتَصَدَّقُ بِهِ حَتَّى يَنْطَلِقَ إِلَى السُّوقِ، فَيَحْمِلَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَجِيءَ بِالْمُدِّ فَيُعْطِيَهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ، وَإِنِّي لَأَعْرِفُ الْيَوْمَ رَجُلًا لَهُ مِائَةُ أَلْفٍ ، مَا كَانَ لَهُ يَوْمَئِذٍ دِرْهَمٌ " [2] .

وليس معنى هذا أنَّ الإسلامَ يقيّدُ العملَ ويحكِرُهُ على وجهٍ واحدٍ ف(الحث على العمل وبذل النشاط الاقتصادي جاء عامًّا مطلقًا غير مقصور على نوع معين، وغير مقيد بشيء سوى الحِلّ الشرعي، وعلى هذا فإنَّه يشمل جميع أنواع النشاط الاقتصادي، ومختلف أنواع المعاملات والمكاسب، مثل: التجارة والزراعة والصناعة والشركة والمضاربة والإجارة، وسائر ما يباشره الإنسان من أوجه العمل والنشاط الاقتصادي لغرض الكسب

---

١) أبو مسعود: عقبة بن عمرو بن ثعلبة، صحابي أنصاري بدري، سكن الكوفة وتوفي سنة ٤٠هـ ، انظر : الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني ٥٢٤/٤ ، طبعة : دار الجيل – بيروت ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٢هـ .

٢) أخرجه النسائي في سننه ، كتاب الزكاة ، باب جهد المقل ٢٨٩/٨ (٢٤٨٢) ، .

الحلال، ولا تنقص قيمة الإنسان في نظر الإسلام بمباشرة أيّ عمل حلال وإن عده الناس عملًا بسيطًا أو حقيرًا؛ لأنَّ قيمة الإنسان في نظر الإسلام في دينه وتقواه، لا في ماله وغناه، ولا في عمله ومهنته، ولهذا وجدنا أكابر الأمَّة من علمائها وفقهائها يمتهنون مختلف المهن الحرة المباحة، كما وجدنا بعض الصحابة الكرام يؤجرون أنفسهم لغيرهم؛ للقيام ببعض الأعمال المباحة الحلال لقاء أجر معلوم) [١]

إنّهُ يُطلِقُ الحكم العامَّ المناسبَ للعامة ، ثم تراه بعد ذلك يخصِّصهُ بالحثِّ على اختيارِ العملِ المناسب لقدرته وطاقته

الدلالةُ الدعوية فيه : ويستفيدُ الداعيةُ من هذا جوازَ التَّفاضُلِ والتمايُزَ بين الخطابات الدعوية واختيارَ الأنسبِ منها لجمهوره حسبَ الحاجةِ المشروعةِ ، كما يُستفادُ منه وجوبُ التَّعرُّفِ على إمكانيات المدعوين وطاقاتهم واستغلال ذلك وتوجيهه ، فلا بدَّ للداعيةِ من التَّعرُّفِ على (من يتعامل معهم ، ويدرك مدخلهم ومخرجهم ، ويقدّر الأبواب التي سيدخلُ منها إلى نفوسهم

إنَّ أكبرَ خطأٍ يرتكبه الداعي مع من يدعو أنْ يبدأ معه من حيث انتهى هو فهماً وقولاً وعملاً ، وينسى أولى الخطواتِ التي بدأها هو نفسُهُ ، فقد يكونُ حالُهُ وقتَ ذاكَ أسوأ من حال الذي يدعوه الآن ﴿ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾) [٢] ومن ثمَّ وجب على الداعية العاقلِ أن يتفحَّصَ جمهورَهُ ومدعويه ، وأن يكتشفَ فيهم القدراتِ الفردية والطاقات المكنونة والمواهب الخفيَّةِ

١) أصول الدعوة ، د/ عبد الكريم زيدان ص ٢٤٨.

٢) الدعوة قواعد وأصول ، جمعه أمين عبد العزيز ص ١٨٧ ، طبعة دار الدعوة – مصر ، الطبعة الرابعة سنة ١٤١٩هـ – ١٩٩٩مـ ، والآية من سورة النساء من الآية رقم ٩٤.

تطبيقاتِ هذا المنهج في الدعوة :

إنَّ في قول الله تعالى ﴿ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ﴾ [1] إشارة إلى أن الله عز وجل قد أعطى كل إنسان طاقات وملكات ومواهب ، وما عليه إلا أن يستثمرها في تحقيق الخير لنفسه وللناس .

وقد كان رسول الله ﷺ يكتشف في أصحابه مواهبهم وطاقاتهم ، ويوظفهم وفقاً لذلك ، ففي غزوة الخندق ، اكتشف في سلمان الفارسي خطة الدفاع عن المدينة

بحفر الخندق فوظفه لذلك واستفاد المسلمون بخبرته في ذلك ، إلى أن أصبح حاكم المدائن فيما بعد، واكتشف في خالد بن الوليد الخبرة والحنكة العسكرية فوظفه قائداً على جيوش المسلمين،

واكتشف في عمر وأبي بكر سداد الرأي والصدق والإخلاص فجعلهما مستشاريه المقربين، واكتشف في بلال حسن الصوت وحسن التدبير فجعله مؤذناً في مسجده ﷺ إضافة إلى مهمة التدبير والإنفاق، واكتشف في نعيم بن مسعود الدهاء والحيلة – ولم يكن الكفار قد عرفوا بإسلامه – فوظفه للإيقاع بين بني قريظة وكفار قريش، كما عرف في أبي ذر ضعفه ورقة قلبه، فرفض توليته الإمارة ، وهكذا كان في اختياره لكتبة الوحي، وفي إرساله الرسل ، وفي تعيينه العمال والولاة ، وفقاً للكفاية والكفاءة ،

ولقد نمَّى رسولُ الله ﷺ في أصحابه هذه الميول والطاقات والقدرات، حتى جعلهم قادة وسادة قادواْ الدنيا وسادواْ العالم ، وحوَّلهم من رعاة غنمٍ إلى قادة أمم ، ومن عُبَّادِ حجر إلى هداةِ بشر.

---

١) سورة الطلاق من الآية رقم ٧.

المطلب الثامن

الإرشادُ إلى تّنوُّعِ الحِرَفِ والصناعات لتحقيق الواجب الكفائي

جاء في عموم القرآن الكريم بعض المهن والحرف المتنوعة والتي تكفل بعض حاجات الناس وتسد طلباتهم منها : (الخياطة – الحدادة – النجارة – الغزل – النسيج – الفلاحة – الصيد – الغوص – الصياغة – الفخارة – الملاحة– الكتابة – الخبازة – الجزارة – النحت – الكيالة والوزن – الطب– التمريض....) [١]

وقد أوردَ صاحبُ " التراتيب الإدارية " مجموعةً من الأعمال والحرف والصناعات التي كانت موجودةً في دولة الإسلام الأولى أذكر منها : (البيع والشراء –العطارة –الوزانة– الصرافة– حفر معدن الذهب – بيع الرماح – بيع الطعام – بيع الصبيان – بيع السكر –بيع العقاقير – بيع العطر – الزراعة والغراسة –الخرازة – بيع الثمار – الدباغ – الحطاب – الدلال وهو السمسار – النساج – الخياط – النجار – المهد للصبيان – صانع الأقداح من الخشب للشرب – الصوّاغ – النقاش – صنع الأنف من ذهب – إحداث الرحى الهوائية – المصور – بيع اللبن – الحداد – البناء – الصباغ – الجلاب – الخواص– العوام – بيع الماء – الصيد – العمال في الحوائط والبساتين – الإجارة – استخراج الماء – السقَّاء الذي يحمل الماء على ظهره – الحَمل على الظهر – الحجَّام –الحلاق – اللحام وهو الجزار والقصاب – الطباخ – الشواء – صاحب الخبز – الماشطة – المرأة تذهب لجس نبض الرجل هل له بزواج فلانة أرب –

---

١) للاستزادة من ذلك انظر : القرآن ينبوع العلوم والعرفان ، علي فكري ، طبعة دار إحياء الكتب العربية

النساء الممرضات – النسوة التاجرات – القابلة – الخافضة –المرضعة – المرأة تمثل النسوة في المجلس النبوي – المغزل – في المغنين في الأعياد– المسابقة – المصارعة – صانع السيوف – باب ذكر من كان يبري النبل – في الحفار للقبور ....) [١]

إنَّ هذا التَّنوُّعَ آيةٌ من آياتِ الله تعالى في قضاءِ حوائجِ الناسِ ومعايشهم فلأجلِ (احتياج الناس بعضهم على بعض يسَّرَ الله كل واحدٍ منهم لصناعة يتعاطاها ، ينشرحُ بها صدره ، ويُؤثرها على غيرها من الحِرَفِ ، ولولا التيسير الإلهي لاختار الناسُ بأجمعهم صناعةً واحدةً ، فتبطلُ الأقواتُ والمعاشاتُ ، فحكمة الله تعالى هي التي صرَّفت الناسَ في سُبُلِ الأعمالِ المنوَّعةِ .... والتفرقةُ والاختلافُ في نحو هذا سبب الالتئامِ والاجتماعِ والاتفاق ، كاختلافِ صورِ الكتابة وتباينها وتفرُّقِها ، فلولاها ما حصلَ لها نظامٌ ولا استقامَ بها فهمٌ وإفهامٌ) [٢]

الدلالة الدعوية : ووجه استفادة الداعية من هذا المنهج إدراكُهُ وجوبَ التّنوُّعَ في المعالجة الموضوعيةِ لموضوعاته فضلاً عن تنوُّعِ الموضوعاتِ ذاتِها ، باعتبار تنوُّعِ أذواقِ المستمعينَ واحتياجاتهم وعدمِ الاقتصارِ معهم على لونٍ واحدٍ من الخطابِ.

إنَّ على الداعيةِ أنْ يدركَ أنَّ (للنفوسِ طباعاً غريبةً متعددةً ، منها ما تحتاج في دعوتها إلى اللين والرفق وإلاَّ شردت ، وأخرى تريد المواجهة

---

١) انظر : التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية ، محمد عبد الحي الكتاني ، طبعة : دار الأرقم – بيروت ، الطبعة: الثانية

٢) محمد ﷺ المثلُ الكامل ، أحمد جاد المولى ص ٣٠١ ، طبعة مكتبة دار المحبة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١م .

والمصارحة المكشوفة وثالثة ينفع معها العلاقات الاجتماعية العائلية ، ورابعةٌ سريعةُ الملل صعبة التَّقبُّل تحتاج إلى التنويعِ في الارتباطِ بها ، وخامسةٌ تكفيها الإشارةُ فتتقبَّلُ الأمرَ بسهولة ويسر ، وسادسةٌ متسرِّعةٌ ومتهوِّرةٌ تحتاجُ إلى كبحِ جماحها وضبطها وتعميقِ معاني التَّريُّثِ فيها ، وهكذا دواليكَ) [١]

إنَّهُ يتسلَّحُ بكلِّ سلاحٍ ، ويتقوَّى بكل عتادٍ رجاءَ أن يفوز في معركة الدعوة على شهواتِ وشبهاتِ بعضِ مدعوِّيه ، ولابد من استعداده ومعرفتِهِ أنَّ (ميدان معركته هي النفس الإنسانية بكل تعقيداتها ومتناقضاتها.

إنّهُ لا يتعامل مع أحجار صلدة ، ولا مع أصحاب طهر ملائكي، بل يعيش ويتعامل مع نفس إنسانية فيها الغرائز المختلفة كحب البقاء، وحب التكاثر والثراء، وإشباع الشهوات الجنسية، وفيها النزعات المتعددة كالثأر، والحذر، والدفاع عن عقيدتها، وحب شيوعها ، والمجتمع الذي أمامه هو مجموع هذه الغرائز وتلك النزعات) [٢]

إنَّ معرفةَ الداعيةِ بهذا التَّنوُّعِ وتلك الاختلافاتِ يُعدُّ الخطوة الأولى للتعامل ، تليها الخطوةُ الأهمُّ والأشَقُّ وهي خطوة معرفة طرق التعامل ووسائل الترغيب ومسالك العلاج .

---

١) الصفات اللازمة للدعاة إلى الله تعالى ، إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة بالكويت ، تقديم : جاسم بن محمد بن مهلهل ، أحمد بن عبد العزيز القطَّان ص ٦٤ ، طبعة دار الدعوة بالكويت ، دار الوفاء بمصر ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ – ١٩٩٢مـ .

٢) المنطلق ، محمد أحمد الراشد ١/ ١٦٢ ، طبعة :مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ –١٩٨١مـ .

المطلب التاسع

حلُّ مشكلاتِ الحرَفيينَ ودلالتُهُ الدعوية

من تمامِ منهجِ الإسلامِ في توجيه الحرفيينَ أنَّهُ لا يَصُمُّ آذانَهُ دونهم ، بل تراه يسمع ويوجّه ويتفقد ويوجِدُ الحلولَ للمشكلاتِ ، ويرفعُ الأنينَ والآهات

فقد ورد أنَّ رجلاً يُدعى سيمويه وفي رواية سيماه قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَسَمِعْتُ مِنْ فِيهِ إِلَى أُذُنِي، وَحَمَلْنَا قَمْحًا مِنَ الْبَلْقَاءِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَبِعْنَا وَأَرَدْنَا أَنْ نَشْتَرِيَ تَمْرَ الْمَدِينَةِ، فَمَنَعُونَا ، فَأَتَيْنَا النَّبِيَّ ﷺ ، فَخَبَّرْنَاهُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لِلَّذِينَ مَنَعُونَا: «أَمَا يَكْفِيكُمْ رُخْصُ هَذَا الطَّعَامِ بِغَلَاءِ هَذَا التَّمْرِ الَّذِي يَحْمِلُونَهُ، ذَرُوهُمْ يَحْمِلُونَهُ» وَكَانَ سِيمُوَيْهِ مِنْ بَلْقَاءَ نَصْرَانِيًّا شَمَّاسًا، فَأَسْلَمَ وَحَسُنَ إِسْلَامُهُ، وَعَاشَ مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً [١]

فانظر كيف استمع له وهو نصرانيٌّ وأنصفهُ من إخوانه وبني ملَّتِهِ ، ولا شكَّ أنَّ هذا الاستماعَ إلى شكوى الغيرِ مُطَيّبٌ لنفسِهِ ، مُزيلٌ لإحَنِ صدرِهِ ، مُشجّعٌ له على استقامةِ أمره مؤذِنٌ بالمشاركة المجتمعية والوجدانية

الدلالة الدعوية : ومما يستفيدُهُ الداعية من ذلك وجوبُ سماعِ الداعيةِ شكوى مدعويهِ والتَّعرُّفِ على ظروفهم ، ومعرفة ما يسوؤهم ويُفرحهم ، مع السعي قُدُماً نحو تحسينِ أوضاعِهم وتعميقَ النظرةِ داخلَ حياتهم ، وكذلك صنع النبيُّ ﷺ مع الرجل الذي أتاه يشكواْ ما وقعَ له فاستمعَ إليه وأنصت فعن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ أَنَّ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ ﷺ كَانَ يُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ يَأْتِي قَوْمَهُ فَيُصَلِّي بِهِمْ الصَّلَاةَ فَقَرَأَ بِهِمْ الْبَقَرَةَ قَالَ فَتَجَوَّزَ رَجُلٌ فَصَلَّى صَلَاةً خَفِيفَةً فَبَلَغَ ذَلِكَ مُعَاذًا فَقَالَ إِنَّهُ مُنَافِقٌ فَبَلَغَ ذَلِكَ الرَّجُلَ فَأَتَى النَّبِيَّ

---

١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١٦٩/٧ (٦٧٢٥) ، وأورده الهيثميُّ في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ٩٩/٤ (٦٤٦٦) وقال : رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ، وَفِيهِ جَمَاعَةٌ، وَلَمْ أَجِدْ مَنْ تَرْجَمَهُمْ.

ﷺ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا الْبَارِحَةَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ فَتَجَوَّزْتُ فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَا مُعَاذُ أَفَتَّانٌ أَنْتَ ثَلَاثًا اقْرَأْ وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا وَسَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى وَنَحْوَهَا " [١]

ولك أن تتأملَّ هنا أنَّه ﷺ مع كونه لم يكُ يحبُّ أن يصرّحَ بإسم المخطئ وكم قال : " ما بال أقوامٍ " إلاَّ أنَّك هنا تجده يُصرّحُ بالإسمِ قائلاً :" أفتَّانٌ أنت يا معاذ ؟ " ، ولعلَّ السرَّ في ذلك راجعٌ إلى حكمة الداعية في التعامل مع الموقف وعدمِ اتّخاذِ منهجٍ واحدٍ لكل الأحوالِ سيَّما إذا اختلفَ المُوْجِبُ : (فحيث بلغ النبي أن معاذا نال منه خاطبه بالصريح وحيث لم يبلغه عممه تضعيفا للتعزير بتضعيف الجريمة) [٢]

١) أخرجه البخاري في كِتَاب الْأَدَبِ ، بَاب مَنْ لَمْ يَرَ إِكْفَارَ مَنْ قَالَ ذَلِكَ مُتَأَوِّلًا أَوْ جَاهِلًا وَقَالَ عُمَرُ لِحَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِنَّهُ مُنَافِقٌ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ قَدْ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ قَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ ٦٢/١٩ (٥٦٤١) ومسلم في صحيحه ، كتاب الصلاة ، باب القراءة في العشاء ٣٣٩/١ (٤٦٥)

٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني ٢٤٣/٥ ، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١م

المطلب العاشر

عدم احتقار صغيرِ الحِرَف أو استصغارِ أهلها :

لقد رفعَ الإسلامُ قيمةَ الحرفةِ أيًّا كان نوعُها طالما كانت من وجوه الكسبِ الحلال، ونهَى وحذَّرَ وشنَّع على البِطالة والعجزِ والاتّكال على الآخرين مهما كانت صفةُ صاحبها فكلُّ كسبٍ حلالٍ يُعَدُّ عملاً شريفاً ، وفي الحديثِ الصحيحِ : عَنْ أَبِي الزِّنَادِ عَنْ الْأَعْرَجِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ فَيَحْتَطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ رَجُلًا فَيَسْأَلَهُ أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ "[1]

هذه هي مهنةُ الاحتِطابِ؛ فهل تُرى أحدًا يزدَريها بعد هذا التوجيهِ النبويّ الكريمِ؟! وكان سيدنا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ يقولُ: إِنِّي لَأَرَى الرَّجُلَ، فَيُعْجِبُنِي، فَأَقُولُ: هَلْ لَهُ حِرْفَةٌ؟ فَإِنْ قَالُوا: لا؛ سَقَطَ مِنْ عَيْنِي.؟ [2] وكانت الحدادة – وهي معالجة الحديد وتشكيله – من الحِرَفِ التي يحتقرها العرب ويحتقرون القائمَ عليها ذلك أنَّ معظم الحدادين كانواْ أرقَّاءَ أو من أصل غير عربي ، فكانوا يعيّرون الحَدَّادَ ويعتبرونه من طبقة وضيعة وكانوا يسمونه (القين) وقد حاول الرسول ﷺ تغيير هذه النظرة السلبية بدفعه ولده ابراهيم الى امرأة قين في المدينة يدعى أبا سيف كي ترضعه في الوقت الذي كان الناس يدفعون اولادهم إلى أشراف القبائل وزعمائهم .

---

١) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الزكاة ، بَاب الِاسْتِعْفَافِ عَنْ الْمَسْأَلَةِ ٥/ ٣١٩ (١٣٧٧)

٢) المجالسة وجواهر العلم ، أبو بكر أحمد بن مروان الدينوري ١١٧/٧ (٣٠٠٥) ، طبعة : دار ابن حزم (بيروت – لبنان) ١٤١٩هـ ، وذكره ابن الجوزي في تلبيس إبليس ٢٥٢/١ ، طبعة : دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت ، لبنان ، الطبعة : الأولى ١٤٢١هـ٢٠٠١ م ، عبد الحي الكتاني في التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية ٢٠/٢ ، طبعة : دار الأرقم – بيروت ، الطبعة: الثانية

وقد كان الرسول ﷺ يزور ابنه عندهم فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلَامٌ فَسَمَّيْتُهُ بِاسْمِ أَبِي إِبْرَاهِيمَ ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى أُمِّ سَيْفٍ امْرَأَةِ قَيْنٍ يُقَالُ لَهُ أَبُو سَيْفٍ فَانْطَلَقَ يَأْتِيهِ وَاتَّبَعْتُهُ فَانْتَهَيْنَا إِلَى أَبِي سَيْفٍ وَهُوَ يَنْفُخُ بِكِيرِهِ قَدْ امْتَلَأَ الْبَيْتُ دُخَانًا فَأَسْرَعْتُ الْمَشْيَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ يَا أَبَا سَيْفٍ أَمْسِكْ جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَأَمْسَكَ فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِالصَّبِيِّ فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَقُولَ فَقَالَ أَنَسٌ لَقَدْ رَأَيْتُهُ وَهُوَ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَدَمَعَتْ عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ تَدْمَعُ الْعَيْنُ وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ وَلَا نَقُولُ إِلَّا مَا يَرْضَى رَبُّنَا وَاللَّهِ يَا إِبْرَاهِيمُ إِنَّا بِكَ لَمَحْزُونُونَ " (١)

الدلالة الدعوية : ويستفاد من ذلك دعوياً إرشادُ الداعيةِ إلى عدمِ الاستهتارِ ببعضِ جمهوره أو التحقيرِ منهم – ولو قلَّ شأنُ بعضهم – (إنَّ الفقر قد يُخرجُ من أكواخه من العباقرة من ينتشلُ أمةً ويقودُ جماعة ولا بد للداعية أن يتفرَّسَ هذا في جمهوره وأنْ يتوقع منهم الكفاءات الخاملة بين بعض الوجوه النائمة) (٢)

فربَّ ضعيفٍ له منزلة ، وفي الحديث " عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ : رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لَأَبَرَّهُ " (٣)

كما يستفادُ منه أيضاً عدمَ التساهل في صغيرِ اعتراضِ الناسِ عليه فلربما جرَّهم بعضُ ذلك – إذا لم يسعى لتداركه – إلى الاعتراضِ على الكثيرِ والاجتراءِ عليه حتى تضعُفَ قيمتُهُ ويقِلَّ أثرُهُ .

---

١) أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب الفضائل ، بَاب رَحْمَتِهِ ﷺ الصِّبْيَانَ وَالْعِيَالَ وَتَوَاضُعِهِ وَفَضْلِ ذَلِكَ ٤٥٢/١١ (٤٢٧٩)

٢) تذكرة الدعاة ، البهي الخولي ص ٣٦٥ بتصرف .

٣) أخرجه مسلم في صحيحه ، كِتَاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ ، بَاب فَضْلِ الضُّعَفَاءِ وَالْخَامِلِينَ ١٣/ ٦٠ (٤٧٥٤)

الخاتمة

إن الإنسانيّة اليوم أحوج ما تكون إلى المجتمعات المتكافلة التي يتحقق فيها لكل مواطنٍ العيش المحترم والأمن والحريّة والمساواة وحفظ الحقوق ، ولتحقيق هذا لابد من الإخلاص في العمل والإتقان في الأداء والإستقامة في الخلق والأمانة في الدين ، واعتبارِ ذلك كلِّه – من دعائم قيام المجتمعات الصالحة – مسألةَ عبادة ودين ، وليست مجرّد أعمالٍ تُؤدى ، يحاسب عليها المسؤول أو يؤنّب للتقصير فيها الضمير . ألا ما أروع انتشار هذه الروح ، وما أجمل أن نتعايش بهذا بين أروقة تلك المجتمعات .

والملاحَظُ أنَّهُ ما أن ينطقَ متكلِّم عن العمل، إلاَّ ويتبادر إلى ذهن السامع تلكَ الوظائفُ والأعمال المكتبيَّة، وكأنَّ العملَ مقصور عليها، منحصِرٌ فيها، ما نتج عنه احتقارُ المهن وازدراء أصحابها، والإعلاء من شأن الوظيفة المكتبيَّة، وهذه النظرة الدُّونية تُمارس على جميع المستويات والطبقات، وتُغرَس في النُّفوس منذ الصغر .

لكننا وجدنا الإسلامَ قد حظيت فيه الحرفُ وأصحابُها بالعناية والرعاية ، حيثُ فصَّل في فضائلها، وذكر أربابها، فدعا لهم وأرشدهم، وكان يستشهد بهم في حديثه، فيشبه بعض الأعمال الصالحات وأضدادها من الأعمال السيئة بحرف معروفة، كحامل المسك ونافخ الكير، وكان يتكلم مع كل صاحب حرفة بما يتعلق بحرفته، ويقول له ما يزيده بها اغتباطاً، وبآدابها وأحكامها ارتباطاً، وفي هذا ردٌّ عمليٌ على من ادّعى أنَّ الإسلام لا علاقة له بالدنيا ولا بالحياة ولا بالسياسة ولا بأمور المعيشة، وقد رأينا كيف ساهمت العقيدة الإسلام والتعاليم النبوية والآيات القرآنية على تطور وتقدم الأمم التي اعتنقت الإسلام، وكيف كان لهم اختراعات ونهضة صناعية في كافة المجالات.

النتائج والتوصيات

ومما توصل إليه البحثُ من نتائج :

١- اهتمام القرآن الكريم بواقع المجتمع الإنساني، وبأساليب الحضارة ورقيها ، واحتواؤه على ألفاظ تدلُّ على الحِرَفِ والصناعات ، وتخدم المجتمع البشري عامة.

٢- استعراض القرآن الكريم كثيراً من الحِرَفِ من خلال قصص السابقين، من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وغيرهم، للاعتبار والاتعاظ.

٣- باشرَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام الحرفَ المختلفةَ لكسب أقواتهم..

٤- تقدير الكفاءات المتوفرة وحفظها من التسرب إلى الاستثمارات الخارجية وإنقاذ أكبر عدد من الناس من الوقوع في العوز والحاجة ، من خلال الاستفادة من العناصر المحلية الموجودة والموارد المتاحة .

٥- الدعوة إلى الإبداع والمكافأة عليه بما يشجع كافَّة القطاعات على إتيانِ أسبابه .

٦- قتلُ الافتتان بالأنموذج الغربي ، وتفشيلُ محاولة بعضِ المفتونين بهم تقليدَهم في العادات والتصورات ، وبيان ما في الاقتصاد الإسلامي من الكفاية والهداية.

٧- الإشارة إلى وجوبِ تعاون الجهات المؤثرة في المجتمع في وضع التدابير اللازمة لتحقيق قوام الاستقلال الاقتصادي الإسلامي ، ورفض التبعية الغربية ،

٨- العمل على زيادة الوعي الديني والاجتماعي بضرورة التنقيب عن الحلول العملية للمشكلات العصرية داخل النصوص الشرعيَّة ،

والحرص التامّ على الوثوق الكامل في الشريعة الغراء وقدرتها على مواءمة العصر وتلبية احتياجات الناس وإظهارِ ذلك الوثوق.

٩- ضرورة وجود النماذج القيادية التي يُقتدى بها في مسيرة العمل الإقتصادي، والحرصِ على إبراز هذه النماذج ليتلقف الناس تصرفاتهم الحسنة كمنارة راشدةٍ على سلوك الطريقِ السويّ الصحيح .

١٠- الحثّ على التخطيط الشمولي التكاملي للتنمية دون قصر النظر على الخطط الجزئية أو المرحلية ، وتتبع هذه النظرة من كون النصّ الشرعيّ قد أوجد حلاً مناسباً لمشكلاتٍ ماضيةٍ فائتةٍ ، كما لم يعدِمْ وجود الحلول الجذرية لمشكلاتٍ مستقبلية ، وهكذا وجدنا النظرة الشمولية المتكاملة قد توفَّرتْ في النظامِ الاقتصادي الإسلامي .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : القرآن الكريم : سبحان من أنزله

ثانياً : المصادر البشرية .

١- الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل البخاري ، طبعة دار البشائر الإسلامية – بيروت ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ – ١٩٨٩

٢- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم ، أبو السعود محمد بن مصطفى ، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت

٣- أساس البلاغة ، الزمخشرى ، طبعة دار الفكر ١٩٧٩م.

٤- أساس البلاغة ، جار الله الزمخشري ، طبعة الهيئة العامة لقصور الثقافة ، مصر سنة ٢٠٠٣م.

٥- الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني

٦- أصول الدعوة د/ عبد الكريم زيدان ، طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثامنة ١٤١٨هـ ، ١٩٩٨مـ .

٧- البداية والنهاية ، ابن كثير ، طبعة مكتبة المعارف – بيروت ، السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام ، طبعة دار الجيل – بيروت – ١٤١١هـ .

٨- تذكرة الدعاة ، البهي الخولي ، طبعة مكتبة دار التراث ، الطبعة الثامنة ١٤٠٨هـ – ١٩٨٧مـ

٩- التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية ، محمد عبد الحي الكتاني ، طبعة : دار الأرقم – بيروت ، الطبعة: الثانية

١٠- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد بن علي رضا ، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٠ م.
١١- تفسير القرآن الحكيم ، محمد رشيد رضا، طبعة :الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة : ١٩٩٠مـ
١٢- تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير ، طبعة المكتبة التوفيقية سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١مـ.
١٣- تفسير القرآن العظيم ،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع ،الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
١٤- تفسير القرآن العظيم ،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، طبعة دار الكتب العلمية – بيروت ، الطبعة: الأولى - ١٤١٩ هـ
١٥- تفسير القرآن العظيم ،أبو الفداء إسماعيل بن كثير ، طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع ، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م
١٦- تقريب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني
١٧- التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد البر القرطبي ، طبعة مؤسسة القرطبة .
١٨- تيسير العلّام شرح عمدة الأحكام ، عبد الله بن صالح البسَّام ، طبعة دار الميمان بالسعودية ، الطبعة الأولى سنة ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥مـ .
١٩- التيسير بشرح الجامع الصغير ،زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي ، مكتبة الإمام الشافعي – الرياض ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م

٢٠- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه ، المسمى صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري ، طبعة دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ .

٢١- الحث على التجارة والصناعة والعمل ، والإنكار على من يدعي التوكل في ترك العمل والحجة عليهم في ذلك ، أبو بكر أحمد بن محمد الخلاّل ، طبعة دار العاصمة ، الرياض ، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ

٢٢- الحسبة في الإسلام أو: وظيفة الحكومة الإسلامية ، أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية ، طبعة: دار الكتب العلمية ، الطبعة: الأولى ،

٢٣- الدر الفريد وبيت القصيد ، محمد بن أيدمر المستعصمي ، طبعة: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٦ هـ – ٢٠١٥ م

٢٤- الدعوة قواعد وأصول ، جمعه أمين عبد العزيز ، طبعة دار الدعوة – مصر ، الطبعة الرابعة سنة ١٤١٩هـ – ١٩٩٩مـ ،

٢٥- زاد المعاد في هدي خير العباد ، محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية ، طبعة : مؤسسة الرسالة، بيروت – مكتبة المنار الإسلامية، الكويت ، الطبعة : السابعة والعشرون ، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م .

٢٦- السيرة النبوية ، عبد الملك بن هشام ، طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ،الطبعة: الثانية ١٣٧٥هـ – ١٩٥٥ م .

٢٧- السيرة النبوية عرض دقائق وتحليل أحداث ، د/ علي محمد الصلّابي ، طبعة دار المنار ، الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٥مـ .

٢٨- السيرة النبوية والدعوة في العهد المكي ،أحمد أحمد غلوش ، مؤسسة الرسالة ،الطبعة: الأولى ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م
٢٩- شرح السنة ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، طبعة المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت ، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م
٣٠- شرح صحيح البخاري ، أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال البكري القرطبي ، طبعة مكتبة الرشد – السعودية / الرياض – الطبعة الثانية ، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م .
٣١- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، طبعة دار العلم للملايين – بيروت الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م.
٣٢- صحيح مسلم بشرح محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت .
٣٣- الصفات اللازمة للدعاة إلى الله تعالى ، إصدار لجنة البحوث في مكتبة دار الدعوة بالكويت ، تقديم : جاسم بن محمد بن مهلهل ، أحمد بن عبد العزيز القطَّان ، طبعة دار الدعوة بالكويت ، دار الوفاء بمصر ، الطبعة الثانية ١٤١٢هـ – ١٩٩٢مـ .
٣٤- الطرق الحكمية في السياسة الشرعية ، محمد بن أبي بكر ابن القيم ، طبعة : مطبعة المدني – القاهرة.
٣٥- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العينى ، طبعة : دار إحياء التراث العربي – بيروت
٣٦- عمدة القاري شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني ،طبعة دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان ، الطبعة الأولى ١٤٢١هـ – ٢٠٠١مـ

٣٧- الفائق في غريب الحديث ، محمود بن عمر الزمخشري ٢٧٥/١ طبعة دار المعرفة – لبنان ، الطبعة الثانية.
٣٨- فتح الباري شرح صحيح البخاري ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، طبعة دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩.
٣٩- فقه السيرة النبوية مع موجز لتاريخ الخلافة الراشدة ، محمد سعيد رمضان البوطي ، طبعة دار السلام ، الطبعة الرابعة ١٤١٧هـ-١٩٩٧م ،
٤٠- فيض القدير، المناوي ، طبعة : دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، الطبعة الاولى ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م
٤١- القرآن ينبوع العلوم والعرفان ، علي فكري ، طبعة دار إحياء الكتب العربية
٤٢- القضايا الفقهية المعاصرة والاقتصاد الإسلامي د. علي أحمد السالوس ، طبعة دار الثقافة – قطر ، دار ابن كثير – مصر ، الطبعة الثانية عشرة ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م
٤٣- كشف المشكل من حديث الصحيحين ، أبو الفرج عبد الرحمن ابن الجوزي ، طبعة دار الوطن – الرياض – ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م
٤٤- الكوكب الوهَّاج والرَّوض البَهَّاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، محمد الأمين الأُرَمي العَلَوي ، طبعة : دار المنهاج – دار طوق النجاة ، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩ م .
٤٥- لباب الآداب ، أبو منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري ، طبعة: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٤٦- لسان العرب ، محمد بن مكرم بن منظور ، طبعة دار لسان العرب ، بيروت – لبنان .
٤٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، أبو الحسن نور الدين الهيثمي ، طبعة : مكتبة القدسي، القاهرة سنة ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤ م
٤٨- محمد ﷺ المثلُ الكامل ، أحمد جاد المولى ، طبعة مكتبة دار المحبة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ – ١٩٩١مـ .
٤٩- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر الرازي ، طبعة مكتبة لبنان ناشرون – بيروت، سنة ١٤١٥ – ١٩٩٥.
٥٠- مختار الصحاح ، محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي ، طبعة وزارة المعارف ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ، الطبعة السابعة سنة ١٩٥٣م.
٥١- المدخل إلى علم الدعوة ، محمد أبو الفتح البيانوني ، طبعة مؤسسة الرسالة ، الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ – ١٩٩٥مـ .
٥٢- المصباح المنير ،أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي ، طبعة المكتبة العلمية – بيروت.
٥٣- مع الله ، دراسات في الدعوة والدعاة ، محمد الغزالي ، طبعة نهضة مصر ، الطبعة الثامنة ٢٠٠٧مـ .
٥٤- معالم التنزيل في تفسير القرآن ، المُسمى : تفسير البغوي ، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، طبعة دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ
٥٥- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقي ، طبعة دار الحديث بالقاهرة ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٧هـ – ١٩٩٦مـ .

٥٦- المعجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، طبعة مجمع اللغة العربية ، الطبعة الثالثة .

٥٧- مفاتيح الغيب ، أبو عبد الله الرازي ، طبعة: دار إحياء التراث العربي – بيروت الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ

٥٨- مقدمات في المناهج ، عبد السلام ياسين ، طبعة دار البشير للثقافة والعلوم الإسلامية ، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٥م.

٥٩- المنطلق ، محمد أحمد الراشد ، طبعة :مؤسسة الرسالة، الطبعة الرابعة ١٤٠١هـ -١٩٨١م .

٦٠- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج ، أبو زكريا محيي الدين بن شرف النووي ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، الطبعة : الثانية ١٣٩٢.

٦١- المنهج وعناصره د/ ابراهيم بسيوني ، طبعة دار المعارف ، الطبعة الثالثة سنة ١٩٩١م.